مدينة مرعش ودورها السياسي في شمال الشام حتى نهاية عصر الحروب الصليبية

د. إيناس نور الدين رمضان الشوره*

ملخص البحث

بالرغم من هذا الفيض من الدراسات العديدة والمتنوعة التي حظيت بها منطقة الفرات الأعلى والأوسط والأخص شمال الشام وثغورهم المتاخمة للبيزنطيين خاصة في العصرين الأموي والعباسي ومن تلاها من العصور حتى نهاية سلطنة سلاجقة الروم من قبل المؤرخين العرب والأوربيين القدامى والمحدثين إلا أن مدينة أو ثغر مرعش لم تحظ بهذا الاهتمام من قبل هؤلاء المؤرخين ولم تخصص لها دراسة مستقلة سياسية أو حضارية تتناول التاريخ السياسي والحضاري لها عبر العصور الوسطى ومنذ ظهور الإسلام وبداية الصراع الإسلامي البيزنطي الصليبي حولها إلى نهاية عصر سلطنة سلاجقة الروم .

و مرعش هى مدينة ضمن الثغور الجزرية تقع على الضفة اليمنى لنهر جيحان، أولها مما يلي جبل اللكام على حد تعبير صاحب كتاب الأعلاق الخطيرة،في حين يذكر ابن عبد الحق أنها مدينة بالثغور بين الشام والبلاد الرومية أخذها الرشيد ولها سوران وفي وسطها حصن يسمى المرواني كان قد بناها مروان الحجار وهى مدينة قديمة تأسست في عهد سليوقوس كما يذكر ابن العبري، وفي العهد الروماني أطلق عليها اسم جرمانيشيا Germanicia أو جرمانيكيا Germanikeia . ويرى أحد المؤرخين الجغرافيين المحدثين أن الروم سموها مراسيون Marusion وقامت في موضع يسمى جرمانيقية . والاسم الأرميني لها Nakinuk،وكانت من الثغور التى جلا عنها الروم عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام والعراق فخربت فأعاد خالد بن الوليد بناءها مرة أخرى، وطبقا لما أورده ابن الشحنة في كتابه الدر المنتخب وابن شداد في الاعلاق الخطيرة فإن البلاد قد دمرت بعد ذلك في مرحلة تالية بدليل أن معاوية قد أعاد بناءها مرة أخرى خلال فترة حكمه.

والجدير بالذكر أن لمرعش دورها البارز والهام في الصراع البيزنطي الإسلامي سواء في عهد الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب أو خلال العصريين الأموي والعباسي وكثيرا ما خرجت منها الجيوش الإسلامية لجهاد البيزنطيين ، وأحيانا كانت تتلقى الضربات البيزنطية . ولاشك أن الموقع الاستراتيجي المميز لمدينة مرعش جعلها ساحة للصراع المرير بين البيزنطيين والمسلمين واستمر تبادل مرعش بين الجانبين البيزنطي والإسلامي كما استمر أيضا تخريبها وتعميرها .

* مدرس تاريخ العصور الوسطى بقسم التاريخ والآثار – كلية الآداب – جامعة المنوفية

وفي عهد أواخر خلفاء بني أميه حصنها وعمارها المسلمون وانتقلوا إليها وبنوا لهم فيها مسجدا جامعا، ثم حصنها هارون الرشيد وكان لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني على حد تعبير ياقوت الحموى وصاحب الدر المنتخب.

وحرص العباسيون على السيطرة عليها وتحصينها في صراعهم مع الروم ، فأرسل الخليفة المنصور قائده صالح بن على فأعاد بنائها وحصنها وعمرها بالسكان فخربتها الروم بعد ذلك سنة ٣٣٧هـ . وحرص الحمدانيون على فرض سيطرتهم عليها وإعادة تعميرها وتحصينها في إمارة سيف الدولة الحمداني سنة ٣٤١هـ . اما عن فترة الحروب الصليبية فقد نجح الصليبيون الوصول والاستيلاء عليها بقيادة جود فري دي بويون وأصبحت ضمن مدن مملكة أرمينية أرمينية الصغرى وكان يحكمها وقتذاك ثاتول الارميني الذي كان يدين بالتبعية للبيزنطيين وأبقاه الصليبيون كحاكم عليها.

وكانت مرعش أثناء الوجود الصليبي في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ميدانا للصراع بين كل من الصليبين والقوى الإسلامية الأخرى التى طمعت فيها أمثال الدانشمنديين وسلاجقة الروم في سلطنة قلج أرسلان الثاني في النصف الاول من القرن السادس الهجري / النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي،ثم انتقلت إلى مملكة نور الدين محمود أثناء جهوده لاستكمال مشروعه الوحدوي في العلم الإسلامي من الفرات إلى النيل حيث انتزعها من أيدي سلاجقة الروم في قونية منتهزا فرصة أسر جوسلين الثاني،ووفاة السلطان مسعود وتولية ابنه قلج أرسلان وانشغال الأخير بحرب الدانشمنديين.

وظلت مرعش لأهميتها الاستراتيجية تنتقل بين أيدي الشعوب الإسلامية والصلبيين وكذلك الأرمن حتى استقرت أخيرا في أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وبالتحديد عام ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م في أيدي سلطنة سلاجقة الروم وبالتحديد في حكم غياث الدين كيخسرو وقلج أرسلان السلجوقي لما يقرب من نصف قرن حتى استقرت أخيرا في أيدي الأرمن في وجود مملكة أرمينية الصغرى .

وهذا البحث محاولة متواضعة من جانبنا واجتهادا استنادا إلى المصادر العربية والبيزنطية السريانية والصليبية لإظهار الدور البارز والهام لمدينة أو ثغر مرعش كان يمثل الورقة الرابحة في أيدي العديد من القوى الإسلامية والبيزنطية والصليبية في ذلك التناحر المرير بينهما للسيطرة على أقاليم أو مناطق الثغور الفراتية والشامية وعلى رأسها مدينة مرعش .

بالرغم من هذا الفيض الوافر من الدراسات التاريخية العديدة والمتنوعة التي حظيت بها منطقة الفرات الأعلى والأوسط والأخص شمال الشام وثغورهم المتاخمة للبيزنطيين خاصة في العصرين الأموي والعباسي وما تلاها من العصور حتى نهاية سلطنة سلاجقة الروم من قبل المؤرخين العرب والأوربيين القدامى والمحدثين إلا أن هناك ثغرا كان من أهم الثغور الإسلامية لم ينل هذا الاهتمام والدراسة على الرغم من دوره الحيوي والهام على مسرح الأحداث السياسية بمنطقة شمال الشام خاصة مع تواصل حالة الاحتكاك الحربي والحضاري الدائر بين الدولة الإسلامية والبيزنطية ثم الصليبي والمغولي فيما بعد ،ولهذا تنازعت عليه الكثير من القوى السياسية المتصارعة ببلاد الشام آنذاك من أرمن و لاتين و بيزنطيين وغيرهم،هذا الثغر هو مدينة مَرْعَش التي لم تلق القدر الكافي من الدراسة والبحث من قبل معظم المؤرخين رغم أهميتها الاستراتيجية والسياسية، إذ تناولتها بعض الدراسات التاريخية السابقة إجمالا وبعيدا عن الدقة والتفصيل.[1] وهدف البحث الأول هو الكشف عن كثير من الجوانب التاريخية الهامة لتلك المدينة من خلال كتابات المؤرخين المعاصرين وروايات المصادر الإسلامية والبيزنطية والسريانية المتاحة،محاولة لإبراز دور المدينة السياسي الذي شاركت به خلال تلك الفترة الزمنية والتي تبدأ منذ الفتح الإسلامي لها وحتى نهاية عصر الحروب الصليبية في الشرق وبداية حكم المماليك بالشام ومصر، و ذلك بطريقة منهجية وعلمية سليمة.

و مَرْعَش[2] مدينة كما أشار إليها الجغرافيون تقع في شمال الشام على الحدود الفاصلة بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية وتعد ضمن الثغور الجزرية [3] تحديدا على الضفة اليمنى لنهر جيحان،[4] أولها مما يلي جبل اللكام على حد تعبير صاحب

---

[1] علية عبد السميع الجنزوري : الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى ، سلسلة تاريخ المصريين ،الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٣م .
صابر محمد دياب : المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري،مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ١٩٨٤م .
فتحي عثمان :الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٦م.

[2] مَرْعَش : بالفتح ثم السكون،والعين مهملة مفتوحة،وشين معجمية ، مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم.ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢ م ، ج. ٥ ، ص ١٢٦ .

[3] Canard (M.) , Histoire de dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, 1951, p. 270.

[4] Canard, op. cit. , pp. 270 – 271.
كانت الحدود بين المسلمين والبيزنطيين حتى العصر العباسي الأول تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti- Taurus وكانت تلك الثغور تمثل خطا دفاعيا طويلا من القلاع يحمي ما خلفها.ويميل على الفرات الأعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط .وقد تبادلت تلك القلاع بين المسلمين والبيزنطيين على حسب القوة الراجحة آنذاك بين القوتين والتى غلبت

كتاب الأعلاق الخطيرة، [٥] في حين يذكر ياقوت الحموي[٦] وابن عبد الحق البغدادي أنها مدينة بالثغور بين الشام والبلاد الرومية أخذها الرشيد ولها سوران وفي وسطها حصن يسمى المرواني كان قد بناه مروان الجمار ولها ربض يعرف بالهارونية [٧]،وهى مدينة قديمة تأسست في عهد سلوقس[٨] كما يذكر ابن العبري في تاريخه [٩] وفي العهد الروماني أطلق عليها اسم جرمانيشيا Germanicia أو جرمانيكيا Germanikeia [١٠] ويرى أحد المؤرخين الجغرافيين أن الروم سموها مراسيون Marusion وقامت في موضع يسمى جرمانيقية . والاسم الأرميني لها Nakinuk،وكانت من الثغور التى جلا عنها الروم عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام والعراق. وتطل المدينة حسب وصف الجغرافيين لها على الطريق المؤدي إلى مدينة حلب ، والثاني متجهة إلى ناحية الجنوب الشرقي إلى الرها والآخر المتجه شمالا إلى مدينة الحدث[١١]. ولهذا فهى تقع في المنطقة التي تفصل بين الشام وبين آسيا الصغرى من جهة وبين الشام وأرمينية من جهة أخرى .[١٢]

وقد تمكن المسلمون في بدايات حركة الفتوحات الإسلامية حسبما أشارت المصادر الإسلامية عام ١٥ هـ / ٦٣٦م من فتح ثغر مَرْعَش أثناء خلافة الخليفة العادل عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣هـ / ٦٣٤- ٦٤٤م) وذلك عندما أرسل إليها أبو عبيدة عامر بن الجراح أثناء تواجده بالشام وتحديدا بأنطاكية [١٣]وقيل بمنبج [١٤] جيشا بقيادة

=عليها سمة الكر والفر، وينقسم خط القلاع هذا الى مجموعتين :احدهما تسمى الثغور الجزرية لأنها تحمى منطقة الجزيرة الفراتية وهى الشمالية الشرقية، والثانية تحمى الشام وتسمى الثغور الشامية وهى الجنوبية الغربية .

لي سترانج،بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،ط. الثانية ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨٥م ، ص ١٦٠.

[5] ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة،ج١ ، ق١، دمشق ١٩٥٣، ص ١٢٩.

[6] ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ص ١٢٦ .

[7] ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق على محمد البجاوي،دار الجيل ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١٢ هـ ، ج ٣ ، ص ١٢٥٩.

[8] The Encyclopedia of Islam , V. III (1936), p. 268; Canard, op.cit., p. 271.

[9] ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط.الأولى١٩٩٧م ، ص ٩٠.
Chapot , La frontière de l'Euphrate de Pompée al conquêt Arabe, p. 71- 77.

[10] القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بغداد ١٢٨٣هـ ، ص ٤٨٨.

[11] البكري:معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع،تحقيق مصطفى السقا، ط. بيروت، ب ت ، ج ٢ ، ص ١٢١٥.

[12] الحميري :الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس،بيروت ١٩٧٥،ص ٥١٠.

[13] أنطاكية:بالفتح ثم السكون ،والياء مخففة.توجد في الاقليم الرابع وهي قصبة العواصم والثغور الشامية .راجع: ياقوت الحموي،معجم البلدان، ج ١ ، ص ٣١٦.

خالد بن الوليد ففتحها مقابل إجلاء أهلها عنها - وكان أغلبهم من الروم - بالأمان دون حرب مثلما فعلت بقية المدن الرومية الأخرى آنذاك التى استسلمت للمسلمين بشمال الشام دون حرب وقام خالد بن الوليد عقب الاستيلاء عليها حسب ما أشارت إليه المصادر بإجلاء سكان المدينة عنها وأخرب حصنها، [١٥] ربما خشية في اعتقادنا أن تقع المدينة في قبضة البيزنطيين مرة أخري فتشكل حينئذ خطرا يهدد فتوحات المسلمين بالشام ،لذا حرص على هدم حصنها وجلاء أهلها الروميين.وهنا نجد قضية خلافية حول هدم وبناء المدينة إذ أشارت أحد المصادر إلى أن خالد بن الوليد قد قام ببناء مدينة مرعش عقب الاستيلاء عليها وأسكن بعضا من جنده بها ،[١٦] في حين لم يرد ذكر هذا الأمر في كافة المصادر التاريخية الأخرى التي أشارت إلى هذا الحدث . فالسؤال هنا كيف بادر خالد بهدم و تعمير وبناء المدينة في آن واحد ؟ والتصور التاريخي المقبول هنا أن خالد بن الوليد عقب فتح المدينة قام بهدم تحصيناتها وإجلاء سكانها من الروم عنها وإحلال وتسكين الجنود المسلمين بدلا منهم وربما اعتبره البعض هو تعمير وبناء للمدينة. وعلى كل حال فقد أصبحت مرعش منذ ذلك الحين تابعة للمسلمين وانتهت بذلك السيطرة البيزنطية عليها تماما.ولكن على ما يبدو وطبقا لما أورده ابن الشحنة في كتابه الدر المنتخب[١٧] وابن شداد في الأعلاق الخطيرة فإن

---

[14] منبج :تقع بين حلب ونهر الفرات شمالي بلاد الشام .ابن جبير :رحلة بن جبير،ط. ٢، بيروت ١٩٨٦م ، ص ٢٢٣ ؛

وقال عنها الحميري : " مدينة بناحية قنسرين ومن كورها ، وهى مدينة كبيرة عليها سوران ، وهى من بناء الرومان ،وكان بها قلعة وحصن ."الحميري :المصدر السابق ، ص ١٥٧

[15] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،حققه عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي ، بيروت ط. الثانية ١٩٩٩م ، ج ٢ ، ص ٣٢٧.

[16] قدامه بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر العراق ١٩٨١م ، ص ٣١٩ .

اختلفت تفاصيل رواية قدامة بن جعفر في كتابه الخراج عن بقية المصادر الأخرى إذ يقول :

" أما مرعش ، فأن أبا عبيدة كان وجه ،وهو بمنبج خالد بن الوليد ، إليها ففتح حصنها على أن جلا أهلها،عنه ثم أخربه،وبنى مدينة مرعش و أسكنه جندا فلما كان موت يزيد بن معاوية كثرت غارات الروم عليهم فانتقلوا ... "وهنا نجد اختلاف بين رواية ابن الاثير الذي أشار إلى وجود ابا عبيدة في مدينة أنطاكية وقت إرسال جيش خالد بن الوليد إلى مرعش وبين رواية قدامة الذي ذكر وجود أبا عبيدة بمنبج ،وهناك اختلاف آخر إذ نجد قدامة يشير الى قيام خالد بن الوليد ببناء مدينة مرعش بعد تخريب حصنها بل وقام بتسكين جنوده وهذا لم يرد في أى مصدر آخر . للمقارنة انظر:

البلاذري :فتوح البلدان ، نشره صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية ، ب ت ، ص ٢٢٤.

ابن الأثير :المصدر السابق ، ص ٣٢٧.

[17] ابن الشحنة :الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق أبو اليمن البتروني ، المطبعة الكاثوليكية

بيروت ١٩٠٩ ، ص ١٩١ .

المدينة قد دمرت وتهدمت بعد ذلك في مرحلة تالية بدليل أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان(٤١- ٦٠هـ / ٦٦١- ٦٨٠م) قد أعاد بناءها وتحصنها مرة أخرى خلال فترة حكمه ، وأسكن بها بعض جنوده بعائلاتهم .[١٨] إلا أن تزايد حدة هجمات البيزنطيين على المدينة من حين لآخر خاصة بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٣ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٢م) جعلت الأهالى يهجرونها ويفرون بذويهم منها إلى مدن أخري مجاورة كانت بالنسبة لهم أكثر أمنا وسلاما ، وأصبحت مدينة مرعش آنذاك خالية من سكانها لعدم توافر عوامل الأمن والحماية بها ، الأمر الذي دفع الخليفة الأموي مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣- ٦٨٥م) إلى إعادة تحصينها [١٩] وتجديدها وبناء أسوارها ،[٢٠] وبفضل تلك التحصينات ظلت المدينة قرابة عشر سنوات بمنأى عن الغارات البيزنطية ونعمت خلالهما بحالة من الاستقرار والهدوء النسبي .

ونرجح أن السبب في تراجع الهجمات البيزنطية على المنطقة الحدودية بين الدولتين بصفة عامة و مرعش بصفة خاصة آنذاك طبقا لما أورده قسطنطين السابع في كتابه إدارة الإمبراطورية يرجع إلى معاهدة السلام التى أبرمها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بداية عهده عام ٦٥هـ / ٦٨٥ م مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني (٦٦٨ - ٧١١م) والتي تم التوصل بموجبها إلى شبه تسوية بين الطرفين على الولايات المتنازع عليها ،[٢١] ومن بينها الحدود الفاصلة بين الدولتين وإقرار السلام[٢٢] إذ يشير قسطنطين السابع بقوله : " وفي هذه السنة أرسل عبد الملك إلى جستنيان لإقرار السلام بينهما وتم الاتفاق على أن يقوم الإمبراطور بسحب المردة من لبنان ويوقف غاراتهم وأن يعطى عبد الملك للرومان كل يوم ألف نوميسماتا Nomismata [٢٣] وحصانا أصيلا وعبدا حبشيا ويقسم بين الطرفين ضرائب قبرص وأرمينيا وأيبريا بالتساوي." [٢٤] وقد أرسل الإمبراطور إلى عبد الملك المندوب

---

18 ابن شداد :المصدر السابق، ص ١٢٩.

19 ياقوت الحموى :المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٦.

20 ابن عبد الحق البغدادي : المصدر السابق ، ص ١٢٥٩.

21 قسطنطين بورفيروجنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، تعليق د. محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية ١٩٨٠م ، ص ٨٥.

20 Foord E. , The Byzantine Empire, London 1911, p. 146.

23 عملة بيزنطية وهى تساوي واحد على اثنان وسبعين من الرطل ذهبا . للمزيد عن تطور العملة البيزنطية والإسلامية من حيث الوزن والقيمة . راجع :

Ehrenkreutz A. S., Byzantine Tetarteia and Islamic Dinars, in the Journal of Economic and Social History of the Orient (JESHO), VII 1964, pp. 183 - 190.

24 قسطنطين بورفيروجنيتوس : المصدر السابق ، ص ٨٥.

الإمبراطوري بولس لإثبات بنود المعاهدة التى أتفق عليها ،[٢٥] وتم توقيع الاتفاقية وكتبت بنودها بشهادة الشهود.[٢٦] وكان من فوائد تلك المعاهدة استقرار الأمن بمنطقة الثغور وخاصة ثغر مرعش والدليل على ذلك عدم وجود إشارات بالمصادر لأية هجوم بيزنطى على المنطقة خلال تلك الفترة الزمنية ،كما يؤكد قسطنطين بروفيروجنيتوس بنفسه تلك الحقيقة بقوله : " وقد أدى ذلك إلى إضعاف قوة الرومان لأن كل مدن الثغور التى يسكنها العرب من بلاد الجزيرة إلى البلاد الأرمينية أصبحت لا تواجه حاميات بيزنطية، كما هجرها سكانها بسبب هجمات المردة ".[٢٧]

ولكن لم يطل أمد هذا الاستقرار طويلا خاصة بعد إعلان الإمبراطور جستنيان الثاني الحرب على المسلمين وذلك بسبب وصول الجزية السنوية التي يرسلها الخليفة عبد الملك إلى بيزنطة في شكل عملة إسلامية ذهبية مكتوب عليها " لا إله إلا الله " بدلا من العملة الذهبية البيزنطية التى كانت تحمل صورة الإمبراطور من جهة والثالوث من جهة أخرى،الأمر الذي اعتبره جستنيان الثاني إهانة له وتهكم على الثالوث المقدس الذي يدين به،وبالتالي نقض المعاهدة التى عقدها من قبل معه،واشتعلت الحرب مجددا بين الطرفين مرة أخرى عام ٧٤هـ / ٦٩٣م وكان النصر فيها حليف المسلمين .[٢٨]

وكان من نتائج تلك الحرب خضوع منطقة أرمينية للنفوذ الإسلامي خلال تلك الفترة الوجيزة [٢٩] خاصة بعد قيام الزعيم الأرميني سيمباد بالثورة ضد البيزنطيين والانضمام

---

[25] ويروي البلاذري شروط هذه المعاهدة ويؤكد على أن الخليفة الأموي عبد الملك قد صالحهم على ألف دينار في كل جمعة ، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه .
راجع البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢١٨.

[26] قسطنطين بورفيروجنيتوس : المصدر السابق ، ص ٨٥.

[27] قسطنطين بورفيروجنيتوس :نفسه ،ص ٨٥.

[28] Finlay G. , History of the Greece, Oxford 1877, pp. 386- 389.

[29] قامت مملكة أرمينية في المنطقة المعروفة بإقليم قيليقية الذي تحده من الشرق جبال الأمانوس، ومن جهتي الشمال والغرب جبال طوروس، ومن جهة الجنوب البحر المتوسط. وتبلغ مساحتها ٤٠٠٠٠ كم^{٢} بطول ٤٠٠ كم^{٢} من الشرق إلى الغرب وبعرض ١٠٠ كلم من الشمال إلى الجنوب. أطلق المؤرخون العرب المسلمون على هذا الإقليم عدة تسميات منها "الدرب" لوقوعها على الطريق الذي يصل بين مدينة طرطوس القيليقية الواقعة على ساحل البحر المتوسط وبلاد الروم عبر جبال طوروس ، كما سميت بـ«منطقة الثغور الشامية» لوقوعها على أطراف بلاد الشام من جهة الإمبراطورية البيزنطية المتاخمة لها من جهة أخرى وكانت مقرّ للقوات الإسلامية لصد الغارات والهجمات البيزنطية؛ وسميت بـ «بلاد ابن لاون»، نسبة إلى ملكهم ليون حيث أطلق المؤرخون العرب المسلمون لقب ابن لاون على ملوك الأرمن جميعاً؛ كذلك أطلقوا عليها تسمية «بلاد سيس» ، نسبة إلى عاصمتهم سيس التي تعد من أكبر المدن الأرمينية و«بلاد التكفور» حيث أطلقت المصادر العربية لقب التكفور على كل من يعتلي عرش أرمينية الصغرى . وتكفور لفظ أرميني معناه الملك المتوج أطلقه الأرمن على ملوكهم . وعلى الرغم من تعدد التسميات التى سميت بها بلاد الأرمن فإن المقصود منها جميعاً قيليقية(أرمينية الصغرى).=

لجانب العرب[٣٠] وكان من المؤكد أن تتعرض مدينة مرعش خلال هذه الحرب للهجوم بحكم موقعها كثغر على الحدود الإسلامية البيزنطية،فقد أشارت معظم المصادر الإسلامية إلى الهجوم البيزنطي العنيف على مدينة مرعش عام ٧٥هـ / ٦٩٤م والذي تصدى له الجيش الإسلامي بقيادة دينار بن دينار حاكم قنسرين بعدما خرج للدفاع عن المدينة،ونجح بالفعل في مقاومة تلك الغارة الفجائية، وإلحاق الهزيمة بالقوات البيزنطية ومطاردتها واقتفاء أثرها إلى عمق الأراضي البيزنطية.[٣١]

وأعقب تلك الهزيمة المريرة للبيزنطيين قيام ثورة بالقسطنطينية أطاحت بالإمبراطور جستنيان الثاني من الحكم عام ٦٩٥م بقيادة القائد ليو نتيوس (٦٩٥- ٦٩٨م) الذي تولى الحكم خلفا له لمدة ثلاث سنوات[٣٢] كانت وفق آراء المؤرخين فترة سلام وهدوء نسبي مع الخلافة الأموية بالشام .[٣٣] و السبب في ذلك في اعتقادنا يرجع إلى أمرين :

=وأشهر مدنها طرسوس وآياس والمصيصة ومرسين ومرعش وعينتاب وزيتون وهاجين وسيس وأدنه وإنطاليا وبورسان وسلوقيا .

للمزيد عن بلاد الأرمن راجع:

ل. استارجيان، تاريخ الأمة الأرمينية، الموصل، ١٩٥١، ص. ٢٠٣.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص. ٩٧ ؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، ١٩٥٢، ص. ٥٦.

أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٧٥، ج ١، ق ٢، ص. ٥٥١ .

أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، بيروت، ١٩٨٧، ج ٨ ، ص. ٣٠ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٧، ص. ٢٣٩.

مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، بيروت، ١٩٨٢، ص. ٢٢٣.

[30] Finlay , op. cit., p. 389.

دارت معركة دارية بين المسلمين والبيزنطيين بالقرب من مدينة سباستابول عام ٦٩٣م / ٧٤هـ على الحدود البيزنطية الإسلامية انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة تامة ومروعة للبيزنطيين ويرجع الفضل في هذا النصر لفرق السلاف العسكرية التى انضمت فى القتال الى جانب المسلمين وكان عددهم يقارب العشرين الف مقاتل بقيادة القائد السلافي سيبولوس أو جيبولوس Cebulus . والجدير بالذكر أن جستنيان الثاني قد قام بالانتقام والتنكيل بأسر هؤلاء الجنود السلاف عقابا لهم عن فعلتهم فأعدم نساءهم وأطفالهم وذبح عدد كبير منهم .

Bury J.B., A History of the Later Roman Empire, , Vol II, London 1889, p. 322.

وسام عبد العزيز فرج:العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م ، ص ٥١.

[31] البلاذري : المصدر السابق،ص ١٨٨- ١٨٩، خليفة بن خياط ، تاريخه ، تحقيق أكرم ضياء العمري ج ٢ ، بغداد ١٩٦٧م ،ج ١،ص ٢٧٠.

[32] قسطنطين بروفيروجينتوس : المصدر السابق ، ص ٨٦.

[33] Oman Ch., European History, London 1893, p. 252.

الأمر الأول فداحة الخسائر التى تكبدتها بيزنطة في ميادين صراعها ضد العرب وخاصة في منطقة آسيا الصغرى والثغور جعلتها تتريث بعض الشئ في الإقدام على محاولات جديدة قد تكون فاشلة فتكلفها المزيد من الخسائر خاصة بعد الهزائم المتكررة التي واجهتها في منطقة شمال الشام ولاسيما مع وجود تحالف اسلامي أرميني قوي معادي لها يمنع أي محاولات من الجائز أن تقوم بها بيزنطة في المنطقة. **والأمر الثاني** نقل ساحة المعركة بين البيزنطيين والمسلمين إلى منطقة جديدة وهى منطقة شمال إفريقية والبحر المتوسط بدلا من الشام ،[٣٤]فادي ذلك بطبيعة الحال إلى تخفيف حدة الضغط العسكري البيزنطي على منطقة الثغور ومن ضمنها ثغر مرعش. ونستنتج من تلك الأحداث جميعها بأن الظروف السياسية والعسكرية مهدت لمدينة مرعش الفرصة كى تنعم ببعض فترات الأمن والاستقرار خلال تلك السنوات.

وعلى أية حال فقد توجه الخلفاء الأمويون عقب انتصاراتهم على بيزنطة صوب مدينة مرعش لتجديدها وتحصينها وإعادة بناء ما تهدم منها، وتعميرها بزيادة عدد سكانها وحسبما أشارت المصادر فقد شرع العباس بن الوليد وذلك في خلافة أبيه الوليد بن عبد الملك(٨٦ – ٩٦ هـ / ٧٠٥- ٧١٥ م)في القيام بترميم بناءها وتحصين أسوارها كما داوم على نقل الكثير من أهالي مدينة قنسرين إليها في كل عام للإقامة والاستقرار لتعميرها وبنى عليها مسجدا جامعا، حتى تكون خطا دفاعيا قويا للدولة الإسلامية يصعب اختراقه[٣٥]

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (٧١٧- ٧٢٠م / ٩٩ – ١٠١هـ) اتسمت الأوضاع في منطقة الثغور عامة بالاستقرار وفي ثغر مرعش بصفة خاصة ويرجع ذلك الى رأى عمر بن عبد العزيز في مسالة الجهاد إذ كان يميل الي السياسة السلمية في نشر الإسلام ورغم خروج الصوائف في عهده من ملطية[٣٦] ومرعش وغيرها من الثغور لغزو القسطنطينية إلا انها كانت محدودة للغاية واقتصر دورها على البناء والتحصين،بل ركز جّل اهتمامه على فداء الأسرى لذا لم يكن هناك أية محاولات جادة من جانب بيزنطة للغزو والإغارة على مدن الثغور،[٣٧]وتمدح المصادر

---

34 قسطنطين بورفيروجنيتوس : المصدر السابق ، ص ٨٦.
أرسل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان جيشا كبيرا إلى شمال إفريقية نجح في استعادة القيروان سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧م بقيادة الحسان بن النعمان كما قام بالهجوم على قرطاجنة واستولى عليها .
انظر ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار المغرب، ج ٢ ، بيروت ١٩٥٠، ص ١٠٢ ؛ المراكشي: المعجب في أخبار المغرب ، ط. ١٩٦٠م، ص ٤٤ – ٤٥ ؛ أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٠.

35 قدامة بن جعفر : المصدر السابق ، ص ٣١٩ ؛ البلاذري :المصدر السابق ،ص ٢٢٤.

36 ملطية : مدينة بناها الإسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة،وهى من بلاد الروم وتتاخم الشام .
ياقوت الحموي : المصدر السابق،ج ٥، ص ١٩٢ ، البغدادي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠٨

37 Canard , Byzantium and the Muslim world , in C.M.H., IV, P.I, p. 698. =

الإسلامية خلق هذا الخليفة الورع التقي وتشير إلى كيفية تقدير واحترام الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري (٧١٧- ٧٤١ م) له[٣٨] وخاصة وأن الخليفة عمر بن العزيز هو من أمر بعودة جنود حملة الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩ هـ / ٧٠٥- ٧١٧م) المحاصرين للقسطنطينية أشفاقا عليهم من المصاعب التي وجدوها من شدة البرد والهلاك جوعا[٣٩] وهناك بعض الآراء التي تزعم أن ليو الثالث كان يرجع أصله إلى مدينة مرعش وأنه كان مواطن مسيحي مرعشي وربما جاء هذا الزعم نتيجة الخلط بين اسم مدينة Germanicopolis السورية مع مدينة مرعش Germanicée ولكن ليس هناك أدلة تاريخية تؤكد ذلك.[٤٠]

وقد أدت تلك الرؤى والروح الجديدة من الجانبين البيزنطي والإسلامي إلى الاتجاه نحو المسالمة و تهدئة الأمور ووقف الحرب خلال فترة عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز التى تجاوزت عامين بقليل.[٤١]ولقد استفاد البيزنطيون بلا شك من تلك السياسة الزاهدة التى اتبعتها الخلافة الإسلامية آنذاك في ترتيب صفوفهم وإصلاح الجيش وتقوية الثيمات البيزنطية ولاسيما الشرقية،وتكوين ثيمات جديدة قادرة على مواجهة الأخطار والغارات التي يمكن أن تهدد الحدود البيزنطية من ناحية الشرق.[٤٢]وهذا ما مكن

=الجدير بالذكر أن هناك مراسلات قد تمت بين عمر بن عبد العزيز والإمبراطور ليو الثالث بشان تبادل الأسرى فقد كان ليو يجيد اللغة العربية بطلاقة ، وقد أشار ابن الجوزي لعدد من السفارات التى أرسلها عمر بن عبد العزيز لهذا الغرض منها تلك السفارة التى كانت برئاسة اسماعيل بن أبى الحكم المدني كاتب عمر رضى الله عنه إذ يروي حكايات عن الأسرى المسلمين داخل سجون القسطنطينية الذين تعرضوا للتعذيب الشديد من أجل التنصير.وقد تنصر بعضهم بعد التعذيب ، وكان من أكثرها تأثيرا على عمر قصة الطحان فيقول ابن الجوزي " قال ابن أبي الدنيا أرسل عمر رضى الله عنه رسولا الى القسطنطينية،فخرج يمشي في أزقتها فسمع قارئا يقرأ القرآن ، فوقف عليه فاذا بأعمى يقرأ القرآن ويطحن في مدار، فسلم عليه فقال : أنى بالسلام في هذه الأرض ؟ فأخبره أنه رسول عمر رضي الله عنه وقال له ما الذي اوقعك ها هنا ؟ قال أخذت من بعض الطرق فعرض عليه طاغية الروم النصرانية فأبيت فسمل عيني وسيرني إلى هذا الموضع ويبعث الي في كل يوم بحنطة اطحنها له، فلما عاد الى عمر رضى الله عنه فأخبره ، فبكى حتى ابكى الأرض من دموعه ، فقال عد الى حالك وقل للطاغية والله لان لم يبعث الى بالطحان لابعثن اليك بجنود أولها عندك وأخرها عندي،فلما بلغته الرسالة ، قال ما كنا لنحوج الرجل الصالح لهذا ، وأقام الرسول عنده أياما ".ولهذا حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على استرداد الأسرى المسلمين .

سبط بن الجوزي :مرأة الزمان في تاريخ الأعيان،دار الكتب المصرية ، ب ت ، ج ٩ ، ص ١٨٩.

[38] سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ص ١٨٩.

[39] ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص ١٨٩- ١٩١.

[39] Vasilive A. A., Histoire de l' Empire byzantine, Vol. I, p. 311.

[40] Ostrogorsky, History of the Byzantine State, ,Trans. By J. Hussy , Oxford 1968, p. 167.

[42] قام ليو الثالث بتقسيم الثيمات الكبيرة إلى ثيمات أصغر وعين قائدا عسكريا لكل ثيم ، وقام بتجميع الفرق المختلفة من المجندين الرومان والمرتزقة المستأجرين وتمخض عن هذا التقسيم الجديد في آسيا الصغرى ظهور ثيمين جديدين وهما : ثيم تراقيا ويقع في الناحية الغربية من آسيا الصغرى و قد=

بيزنطة آنذاك من استعادة نشاطها الحربي في منطقة آسيا الصغرى والثغور بقوة وثبات من جديد عقب وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز وتولى الخليفة يزيد بن عبد الملك الحكم خلفا له (١٠١- ١٠٥هـ / ٧٢٠ - ٧٢٣م) إذ تجدد الصدام والاحتكاك الحربي بين المسلمين والبيزنطيين من جديد،وخرجت الحملات العسكرية الإسلامية من الثغور لقتال البيزنطيين،وكانت بيزنطة قادرة آنذاك بكل ما تملكه من مقومات عسكرية جديدة على رد الهجوم الإسلامي بكل حزم ففي عام ٧٤٦م / ١٢٩هـ على عهد الخليفة مروان الثاني(١٢٧- ١٣٢هـ / ٧٤٤- ٧٥٠م) اجتاحت الجيوش البيزنطية منطقة آسيا الصغري وأغارت بعنف شديد على مدن الثغور فكان من آثرها تخريب مدينة مرعش وتهدم غالبية معالمها إذ يشير قدامه ابن جعفر إلى أن الروم انتهزوا فرصة انشغال مروان بن محمد بمحاربة أهل حمص فأغاروا على مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء عن المدينة ، فجلوا على الجزيرة وقنسرين بعائلاتهم ثم قام البيزنطيون بتخريبها،[43]وقد علل البعض أن أسباب الهجوم البيزنطي على مدينة مرعش آنذاك يرجع إلى أن الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ – ٧٧٥م) أرد استرداد مرعش لأنها كانت تمثل قيمة كبيرة بالنسبة له باعتبارها موطن أجداده.[44]

وعلى كل حال لما فرغ مروان من حربه ضد حمص أرسل جيشا لاستعادة المدينة من جديد،وإعاد بناءها وتحصينها مرة أخرى وذلك سنة ٧٤٧م / ١٣٠هـ واليه ينسب حصن المرواني [45].ولكن البيزنطيين عادوا وخربوها من جديد،لذا غزا بالصائفة في هذا العام الوليد بن هشام فنزل العمق وبنى حصن مرعش على حد تعبير المؤرخ الطبري.[46] وهكذا كان وضع المدينة واستقرارها آنذاك غير آمن وصار بين كر وفر منذ ان تم فتحها و حتى نهاية العصر الأموي. ولعل استماتة البيزنطيين ومحاولاتهم المتكررة في الإغارة على المدينة لاسترجاعها،بل وقيامهم بتنصير أهلها ليكونوا تابعين

=تكون من الأقاليم التابعة لثيم الأناضول ،وسمى بثيم التراقي نسبة للحامية التي اقيمت فيه ذات الأصل الأوربي والقادمة من ترقيا. أما الثاني فهو ثيم البوكلاري في الجزء الشرقي من ثيم الاوبسيق الضخم، ولقد اشتق اسم هذا الثيم من البوكلاريانين وهم اسم لبعض الفرق الرومانية والاجنبية التي استخدمتها الامبراطورية كما قسم ليو الثالث الثيم البحري الكبير الى قسمين الأول ثيم كبيرهايوت في جنوب غرب آسيا الصغرى والثاني ثيم درنجاريات ومقره البحر الإيجي . للمزيد راجع : قسطنطين بورفيروجنيتوس : المصدر السابق ، ص ٢٨١ – ٢٨٣.

Ostrogorsky , op. cit. , p.140.

[43] قدامة بن جعفر : المصدر السابق ، ص ٣١٩.

[44] Ostrogorsky , op. cit. , p.167.

[45] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص ١٢٦.

[46] الطبري:تاريخ الأمم والملوك،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،طبعة دار المعارف،ج ٦،ص ٦٢ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط. بيروت ٢٠٠١م ، ج ٣ ، ص ١٣٤.

لها ،لهو دليل قاطع على مدى أهمية تلك المدينة من الناحية الاستراتيجية والعسكرية بالنسبة لهم . ففي سنة ٧٦٩م / ١٥٢هـ توجهت الجيوش الإسلامية نحو وادي مرعش وكان سبب ذلك أنهم علموا أن البيزنطيين قد حولوا بعض رجال الاستطلاع المسلمين إلى العبودية وحملوهم أسرى إلى القسطنطينية .[٤٧]

ونستنتج مما أوردته المصادر التاريخية المختلفة أن مدينة مرعش كان لها دور مؤثر وهام في دائرة الصراع البيزنطي الإسلامي منذ الفتوحات الإسلامية وخلال العصريين الأموي والعباسي بسبب موقعها الاستراتيجي المميز،وكثيرا ما خرجت منها الجيوش الإسلامية للجهاد غازية الأراضي البيزنطية،وأحيانا ما كانت تتلقى ضربات بيزنطة العسكرية العنيفة عليها بحكم موقعها الحدودي الفاصل بين الدولتين. لذا تم تبادلها بين الجانبين البيزنطي والإسلامي مرات عديدة،كما ظل وضعها بين التخريب والإعمار مستمرا طوال القرن السابع الميلادي مع استمرار وجود العداء وتجدد الحروب .

وأشار المؤرخ ميخائيل السرياني في حوليته إلى أن مدينة مرعش تمتعت بأهمية تجارية في كونها تشرف على الطريق البري المتجه من الشام إلى أراضي آسيا الصغرى وطبقا لرواياته فالمدينة كانت تتحكم في الطريق التجاري القديم الذي اشتهر بتجارة الحرير هذا فضلا عن أهميتها العسكرية على اعتبار أنها كانت مركزا من المراكز العسكرية الحصينة على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ،[٤٨] ولهذا نالت المدينة اهتمام وعناية الأباطرة البيزنطيين على مدى تاريخهم. كما أكد على تلك الحقيقة الجغرافي الإسلامي الاصطخري[٤٩]

وطبقا لما أوردته المصادر فقد حرص الخلفاء العباسيون على السيطرة على مدينة مرعش وتحصينها وعدم التفريط فيها خلال مراحل صراعهم مع بيزنطة،فنجد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م) يرسل قائده صالح بن على إليها فأعاد بنائها وحصنها وعمرها بالسكان عام ٧٦٧م / ١٥٠هـ وزودها بحامية عسكرية كبيرة،كما أجزل الخليفة لأهلها العطاء والمال الوفير لتشجيعهم على البقاء والاستقرار بها.[٥٠]وفي عهد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥-٧٨٥م) جددت مرعش وازدادت تحصيناتها بالجنود والسلاح،خاصة بعد انتصار البيزنطيين في عهد الإمبراطور ليو الرابع (٧٧٥- ٧٨٠م) على المسلمين في واقعة كبيرة بقيليقية

---

47 ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١١٤ ؛عليه الجنزوري :المرجع السابق ،ص ٨٥.

48 Michael The Syrien, Chronique de Michael le Syrien Patriarche Jacobite d' Antioch (1166 - 1199) éditee en Français Par J. B. Chabot, 3vols. 1905, Vol. II, pp.425 - 42.

49 الاصطخري :مسالك الممالك،تحقيق محمد جابر عبد العال،مراجعة محمد شفيق غربال،ط. ليدن – بريل ١٩٢٧م ،ص ٥٤.

50 البلاذري :المصدر السابق ،ص ٢٢٥ ؛ ابن الشحنة : المصدر السابق ، ص ١٩٢.

للمزيد عن مناطق الثغور والعواصم للدولة الاسلامية راجع:

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦ ؛ البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

بالقرب من مرعش وذلك عام ٧٧٨- ٧٧٩م / ١٦١- ١٦٢هـ ونجحت الجيوش البيزنطية خلالها في أسر عدد كبير من سكان مرعش خاصة من اليعاقبة [٥١] فكان لتلك الهزيمة أثر سئ في نفوس المسلمين إذ تجهز الخليفة المهدي للخروج لغزو الأراضي البيزنطية بنفسه .

كما لاقت تلك المدينة عناية واهتمام كبير من خلفاء بنى العباس لاسيما أيام الخليفة هارون الرشيد الذي بذل جهدا كبيرا في تحصينها وتعزيز قوتها وحمايـة سكانها.[٥٢] وفي عام ١٩٢هـ / ٨٠٦م عين الرشيد سعيد بن مسلم بن قتيبة واليا عليها لمتابعة شئونها الداخلية فأغارت بيزنطة على المدينة في تلك السنة وأسرت عددا من أهلها وانصرفوا.[٥٣] ولكن على ما يبدو أن بيزنطة لم تكتف بذلك إذ سرعان ما عادت جيوشها إلي المدينة مرة أخرى بعد ذلك بسنوات وتحديدا عام ٨٤١م / ٢٢٦- ٢٢٧ هـ ونجحت بالفعل فى الاستيلاء على مرعش [٥٤] ولكن الجيش الإسلامي فيما يبدو فاز بها واستردها بعد فترة وجيزه.[٥٥]

ومع بداية عصر الأسرة المقدرنية واعتلاء أباطرة عسكريين أقوياء العرش البيزنطى ازدادت الهجمات البيزنطية على مرعش قوة وشراسة ففي عام ٨٧٧م / ٢٦٤هـ عبر الإمبراطور باسيل الأول (٨٦٧- ٨٨٦م) جبال طوروس وأغار على مرعش لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها فاكتفى بتخريبها والقيام بأعمال السلب والنهب لمعظم ضواحيها.[٥٦] وبالرغم من تلك المخاطر التى تعرضت لها مدينة مرعش إلا أنها ظلت قوية وقادرة على صد الهجمات البيزنطية عليها،كما كانت قادرة على تقديم يد العون لمدن الثغور المجاورة لها وقت الحاجة فكثيرا ما خرجت منها الجيوش لمساعدة ونجدة المدن الأخرى لفك حصارها إذ يشير المؤرخ الطبري أنه في سنة ٢٦٨هـ أغار ملك الروم " المعروف بابن الصقلبية " والمقصود به باسيل الأول المقدوني على ملطية فأعانها أهل مرعش والحدث فأنهزم ملك الروم .[٥٧]

ومع بدايات حكم الإمبراطور ليو السادس الحكيم (٨٨٦- ٩١٢م) تزايدت الهجمات البيزنطية على مرعش وتحركت القوات البيزنطية عام ٩٠٤م / ٢٩٢هـ نحوها وأغارت عليها محدثة الخراب والتدمير وقامت بنهب وإحراق ضواحيها ،وأوشكت على الاستيلاء عليها لولا مساعدة أهل المصيصة وطرسوس لسكان المدينة والإمددات

---

51 البلاذري : المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

52 ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص ١٢٦.

53 الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥١١- ٥١٢.

54 ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

55 ابن العبري : نفسه ، ص ١٤٠.

56 The Encyclopedia of Islam , Vol. III, 1936 , p. 269, Bury, op. cit., p. 273.

57 الطبري :المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥٩.

التى تلقتها مرعش لتستعين بها لصد الهجوم البيزنطى الشرس عليها،وطبقا لرواية عريب القرطبي فقد أصيب في هذه الغارة عدد كبير من المسلمين.[٥٨] وقد أشار ابن الأثير إلى هذه الغارة بقوله: " وفيها أغار أندرونقس الرومي علي مرعش ونواحيها ، فنفر أهل المصيصة و طرسوس ،فأصيب أبو الرجال بن أبي بكار في جماعة من المسلمين،فعزل الخليفة ابا العشائر عن الثغور،واستعمل عليهم رستم بن بردوا " .[٥٩]

ونستطيع وضع تقدير تقريبي لعدد الأسرى المسلمين خلال هذه الغارة طبقا لما أورده ابن الأثير في تاريخه إذ أشار إلى إنه تم الفداء بعد هذه الغارة على يد رستم والى الثغور فكان جملة من فودى من المسلمين ألف ومائتى نفس[٦٠]

وتشير بعض الكتابات الحديثة إلى أن البيزنطيين قد نجحوا في الاستيلاء على المدينة عام ٩١٥م / ٣٠٣هـ[٦١] غير أن الواقع يدحض هذا الأمر،إذ أنه لا يوجد دليل أو إشارة من قريب أو من بعيد في المصادر الإسلامية أو البيزنطية لهذا الحدث،مما يجعلنا لا نميل إلى تأييده. فطبقا لما أورده ابن الأثير في تاريخه فقد أغار مليح الأرمني على مرعش ونهبها وأسر جماعة ممن حولها وحملهم إلى القسطنطينية وعاد وذلك في سنة ٣٠٣هـ ولم يشر مطلقا إلى أمر استيلاء الروم على المدينة .[٦٢]

واستمرت المدينة تحت الحكم الإسلامي حتى أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي إلا أن مرعش قد خضعت في تلك الفترة لحكم الحمدانيين الذين نجحوا في إقامة كيان سياسي منفرد لهم وتأسيس إمارة قوية في شمال الشام عاصمتها حلب عام ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م[٦٣] فدخلت معظم مدن الثغور في حوزة سيف الدولة الحمداني ولاسيما الثغور الجزرية التى كان من بينها ثغر مرعش ،[٦٤] وذلك عقب وفاة الأخشيد حينما أعلن نصر الثملي Nacr Thomali أمير الثغور الولاء والتبعية لسيف الدولة الحمداني وأقام الدعاء له فوق منابر المساجد اعترفا منه بالطاعة والتبعية [٦٥] كما

---

58 عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط. الثالثة دار المعارف ١٩٩٠م ، ص ١٦، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٧.

59 ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٥٤٥.

60 المسعودي : التنبيه والإشراف ، ط. ليدن ١٨٩٣م ، ص ١٦٣.

61 Bréhiér L., Vie et mort de Byzance , paris, p. 145.

62 ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٦٤٢.

63 ابن ظافر الأزدي : أخبار الدولة الحمدانية ،حققه تميمة الرواف ، ط. ١٩٨٥م ، ص ٣٠ .
ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر،تحقيق احمد رفعت البدراوي ،بيروت ١٩٧٠، ج ١ ، ص ٤١٦ .

64 ابن العديم:زبدة الحلب في تاريخ حلب ،تحقيق سامي الدهان،ط. دمشق ١٩٥١م، ج ١، ص ١١١.
ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ ، ٣٥ – ٤٩.

65 ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ .

اعترف الخليفة العباسي الذي كان عاجزا عن تحمل مسئولية المواجهة مع البيزنطيين في مناطق الثغور الإسلامية بسيادة الحمدانيين عليها فاكتسبوا بذلك الشرعية التى منحتهم الحق في حكم تلك النواحي دون منازع [٦٦] وبالتالي انتقلت المواجهة العسكرية بين البيزنطيين والخلافة العباسية إلى الحمدانيين الذين صابروا وجاهدوا طويلا في التصدي للزحف البيزنطي على الثغور الإسلامية بصفة دائمة آنذاك في ظل وجود أباطرة جدد أقوياء عملوا على استعادة الكثير من الأراضي وانتهجوا سياسة الهجوم وأسلوب المباغتة الحربية [٦٧] ففي أثناء انشغال سيف الدولة الحمداني بالصراع على استخلاص مدينة حلب من قبضة الإخشيديين شن البيزنطيون هجوما عنيفا على مدينتى مرعش وبغراس وعاثوا فيها فسادا وتدميرا وألحقوا الخراب بنواحيهم [٦٨] وتقدموا حتى أبواب أنطاكية [٦٩] عام ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ولم ينسحبوا إلا بعد قيام سيف الدولة الحمداني بالإغارة على عرابسوس .[٧٠] وبذلك نجح في انقاذ الأسرى والغنائم من الهلاك .[٧١] وبذل جهدا في منع بيزنطة من تهديد المناطق التى يحكمها الحمدانيون في الموصل والجزيرة وعمل على استرجاع كل الاراضي التى أخذتها بيزنطة من قبل.[٧٢] وإزاء هذا الموقف المتأزم على الحدود الإسلامية البيزنطية حرص الحمدانيون على فرض سيطرتهم علي مدينة مرعش وإعادة تعميرها وتحصينها بصفة دائمة في إمارة سيف الدولة الحمداني حتى أستغل البيزنطيون فرصة النزاع بين معز الدولة البوهيمي وناصر الدولة حاكم الموصل وأغاروا علي المدينة مرة أخرى بجيش كثيف بقيادة القائد البيزنطي البارع ليو فوقاس وأبنائه الثلاثة نقفور وليو وقسطنطين وذلك في ٣٠ يونيه ٩٤٩م / ٣٣٧هـ وقد نجحوا في الاستيلاء عليها ثم قاموا بتخريبها وهدم

---

66 المسعودي : المصدر السابق، ص ١٩٤- ١٩٥..

Canard, op. cit., p. 741.

67 Leo Grammaticus , Chronographia, Patrologiae Graecea ,Tomus 108, Belgium, p. 1159.

68 ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢م ، ج ٣ ، ص ٢٨٣- ٢٨٤ ، وأيضا ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣١٣.

69 ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣١٣.

70 عرابسوس:بفتح أوله،وسكون ثانيه،ثم باء موحدة وتكرار السين المهملة:بلد من نواحي الثغور قرب المصيصة غزاه سيف الدولة بن حمدان . ياقوت الحموي:المصدر السابق،ج ٤،ص ١٠٨. البكري : المصدر السابق ، ص ٩٢٩ .

71 تشير البيزنطية والمصادر الإسلامية إلى قيام عملية تبادل الأسرى والفداء في ربيع الأول عام ٣٣٥هـ / اكتوبر ٩٤٦م بمنطقة الثغور باللامس وقام بتلك المهمة نصر الثملي نيابة عن أميره سيف الدولة الحمداني . وفيما يبدو أن المبادرة جاءت من قبل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين بورفيروجنيتوس (٩٤٤ – ٩٥٩م) لتخليص الجنود البيزنطيين من الأسر .

Theophanes Continuatus, Historia, Patrologiae Graecea ,Tomus 109, Belgium, , p. 440.

72 Canard, op. cit., p. 457.

أسوارها ،[٧٣] بعد دخولهم في معركة حامية مع آل حمدان ، غير أن الحمدانيين نجحوا بجدارة في تخليص المدينة من قبضة البيزنطيين الذين تركوها مدينة خربة و أصبح كل ما فيها أطلالا ، لذا لاقت مَرْعَش اهتمام ورعاية سيف الدولة الحمداني والذي توجه إليها بنفسه عام ٣٤٠ هـ عقب انتصاره على حملة بيزنطية على مدينة سروج ، وقد حرص سيف الدولة خلال زيارته لمرعش على تعميرها وتحصينها وإعادة بناء كل ما هدمه البيزنطيون خلال حملتهم عليها عام ٣٣٧هـ [٧٤] ثم عاد إلى حلب عام ٣٤١هـ .

وفي نفس العام ترامى إلى مسامع سيف الدولة أنباء عن تحرك الجيوش البيزنطية نحو حلب للهجوم والاستيلاء عليها فسارع بالخروج لملاقاتهم آخر عام ٣٤١هـ واحتدم القتال بين الجانبين لينتهى بنصر مؤزر للحمدانين وهزيمة ساحقة للبيزنطيين الذين سقط عدد كبير منهم بين القتل والأسر، وكان من بين الجرحى قائد الجيش البيزنطى نفسه برداس فوقاس إذ أصيب بجرح غائر في وجه، كما وقع ابنه قسطنطين في أسر المسلمين وذلك بمدينة مرعش عام ٣٤٢هـ / ٩٥٣م [٧٥] وظل قسطنطين بن برداس في حالة كمد وحزن حتى مات وهو في أسر الحمدانيين ،[٧٦] فحزن سيف الدولة وتأثر لموته كثيرا حتى أشار ابن شداد في تاريخه [٧٧] إلى أنه أرسل فيه العزاء لوالده موساة له.

وكانت معركة مرعش عام ٣٤٢هـ / ٩٥٣م بمثابة ضربة قاصمة لهيبة ونفوذ بيزنطة في منطقة الشرق بأسره ، لذا أصر البيزنطيون على الانتقام لهزيمتهم ووصلت إلى منطقة الثغور الجزرية أعدادا غفيرة من جنود وقواد الجيش البيزنطي لشن غارات انتقامية على سكانها ، إلا أنهم لقوا هزيمة ساحقة للمرة الثانية بالقرب من الحدث على يد سيف الدولة الحمداني أسر فيها على حد رواية ابن العديم الإمبراطور قسطنطين

---

[73] مسكويه ، تجارب الأمم ، ط. التمدن الصناعية مصر ١٩١٥م ، ج ٢ ، ص ١١٤.
ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط. بولاق ١٣٢٦ج ٢ ، ص ١٩٢ .

[74] ابن الشحنة : المصدر السابق ، ص ١٩١ – ١٩٢ . ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٦. وقد أنشد المتنبي في تلك المناسبة قصيدة يقول فيها :

فيوما بخيل تطرد الروم عنهم سر اياك ويوما بجود تطرد الفقر والجدبا و
تترى والدمستق هارب أتى مرعشا أصحابه قتلى وأمواله نهبا و أدبر اذ أقبلت
يستقرب البعد مقبلا كفى عجبا أن تستبعد القربا بنى مرعشا تبا لآرائهم تبا
يعجب الناس أنه وما الفرق ما بين أذ حذر المحذور واستصعب الصعبا
الأنام وبينه

أبو الطيب المتنبى : ديوان المتنبى ، شرح اليازجي ، ط. بيروت ١٨٨٧م .

[75] ابن شداد:الأعلاق الخطيرة،ج ١ ،ص ٢٥٩ ؛ابن الوردي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٧.

[76] ابن العديم :زبدة الحلب ،ج ١ ،ص ١٢٤،ابن الوردي ،المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٢٨٦.

[77] ابن شداد : المصدر السابق،ج ١ ،ص ٢٥٩ ؛مصطفي الشكعة:سيف الدولة الحمداني ، ص ١١٠.

نفسه وعدد كثير من قواده عام ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م [٧٨] غير أننا نلاحظ هنا خلط بين نتائج معركتى مرعش [٧٩] والحدث عند المؤرخ ابن العديم في سرده لتلك الرواية لأن الإمبراطور البيزنطي آنذاك كان قسطنطين السابع، وهو طبقا لكافة المصادر البيزنطية والسريانية والإسلامية لم يتعرض للأسر مطلقا لانه لم يخرج نهائيا على رأس جيش للحرب في الشرق ولا في الغرب أما من تم أسره على يد الحمدانيين فكان قسطنطين بن برداس في واقعة مرعش وليس في معركة الحدث.[٨٠] لذا لا نميل إلى تأيد تلك الرواية لمخالفتها للواقع التاريخي.

ونستشف من تلك الأحداث الهامة التى وقعت بين المسلمين والبيزنطيين على أهمية دور مدينة مرعش التاريخي والبارز على الساحة السياسية والعسكرية في شمال الشام آنذاك، إذ كانت تعد نقطة انطلاق للهجمات الاسلامية تجاه الأراضي البيزنطية ولاسيما في مرحلة التفوق العسكري الإسلامي على بيزنطة و الذي على ما يبدو لم تدم طويلا ففي مستهل شوال عام ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م شنت القوات البيزنطية هجوما عنيفا بقيادة ليو فوقاس استهدف مدينة مرعش ونواحيها وأسفر الهجوم عن سقوط عدد كبير من الأسرى والقتلى من سكانها،وتهدمت معظم القلاع والحصون بها وسقط حصن الهارونية من أعمال مرعش عنوة في يد البيزنطيين[٨١].وظلت القوات البيزنطية تقاتل حتى نجحت في الاستيلاء على مدينة مرعش [٨٢] نفسها في نهاية الأمر.ولم يستطع سيف الدولة الحمداني استعادة المدينة من قبضة البيزنطيين رغم الجهود المضنية والمحاولات المستميتة التى بذلها من أجل ذلك[٨٣] وعادت المدينة من جديد تابعة للتاج البيزنطي وفقدها المسلمين بعد أن ظلت بحوزتهم قرابة ثلاثة قرون.

وكان ضياع هذه المدينة الهامة من يد المسلمين عامة والحمدانيين خاصة بمثابة كارثة كبرى حلت بهم إذ كان من أهم النتائج المباشرة لفقدانها ضياع الكثير من مدن الثغور المجاورة لها وإحلال الهزائم بالجيش الحمداني فقد أصبحت مرعش مركزا بيزنطيا

---

[78] ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ – ١٢٦.

[79] وقد قال المتنبى موجها حديثه للامبراطور البيزنطي فقال:
نجوت باحدى مهجتيك جريحة ..وخلفت احدى مهجتيك تسيل
أتسلم للخطية ابنك هاربا.. ويسكن في الدنيا اليك خليل

[80] Theophanes Continuatus, Historia ,p.445, Leo Grammaticus , Chronographia, p. 1160
ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ ؛ ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٣٠٧.
المسعودي : المصدر السابق ، ص ١٩٤– ١٩٥ ؛ ابن العبري : المصدر السابق ، ٦٥.

[81] يحيى بن سعيد الأنطاكي : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، نشره كراتشكوفسكي وفازيليف ، القاهرة ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٩م ، ص ٧٧٥ – ٧٧٦.

[82] ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٠.
قسطنطين بروفيروجينتوس: المصدر السابق ، ص ٢٩ .

[83] ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٤٠.

عسكريا ونقطة انطلاق للجيش البيزنطي صوب الأراضي الإسلامية،كما أصبحت مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية في مستهل عام ٣٤٩هـ / ٩٦٠ م تحوى مدنا حدودية ثغرية تمتد من الشمال للجنوب صارت جميعها خاضعة للسيطرة البيزنطية مثل سميساط وبهسنى وجمانه وغيرها،كما خرج إقليم قليقية و مدنه الأرمينية من يد المسلمين.[٨٤]

وفي ظل تبعية مدينة مرعش للنفوذ البيزنطي اختلف دورها السياسي تماما عما كان من قبل فلم يعد يقتصر الصراع حولها حينذاك بين بيزنطة والدولة الإسلامية فقط بل أصبحت محل صراع لكثير من القوى السياسية الجديدة التى ظهرت على الساحة في بدايات القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري فقد ظهرت قوة الأتراك السلاجقة بعدما ضعفت الدولة الحمدانية وانتهت،فازداد نفوذ السلاجقة حتى أصبحوا أوصياء على الخلافة العباسية ذاتها إذ جاز لنا التعبير،وبالتالي وقع على عاتقهم مسئولية الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية وتأمين ثغورها خاصة مع إيمانهم بعقيدة الجهاد الديني. ومن هذا المنطلق أصبح السلاجقة قوة فتية ودماء جديدة للدولة الإسلامية،[٨٥] وباتت تحركاتهم الحربية في شمال بلاد الشام ولاسيما في المناطق الحدودية بين الدولة الإسلامية وبيزنطة تمثل خطرا جسيما على الوجود البيزنطي في منطقة آسيا الصغرى خاصة بعد سيطرتهم على الكثير من الأراضي التابعة لبيزنطة.[٨٦]

---

84 Grousset, Histoire de L' Armenié des Origines , Paris 1947, p. 477.

خضع إقليم أرمينية للدولة العربية الإسلامية منذ الفتح العربي الإسلامي في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي،وازدادت أهميته بعد الفتح لموقعه الإستراتيجي:إذ اهتم به الخلفاء والأمراء وأجروا فيه تحصينات وأصبح مستقرا للقوات الإسلامية لحماية حدود الدولة من الهجمات البيزنطية. وبعد ثلاثة قرون من التبعية، بدأت الأوضاع في هذا الإقليم تتغير تغيراً ملحوظا. إذ أن الإمبراطورية البيزنطية، أخذت تستغل فرصة ضعف الدولة العربية الإسلامية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الذي تزامن مع نهوض الإمبراطورية البيزنطية، فاستعاد الإمبراطور نقفور (٣٥٢ ـ ٣٥٩ هـ/ ٩٦٣ ـ ٩٦٩ م) سيطرته على مدينة المصيصة وطرسوس وغيرها من مدن قيليقيا . وبذلك يكون هذا الإقليم قد خرج من أيدي المسلمين.

ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، بيروت، ١٩٦٧، ج ١، ص ٩٤.

David Marshall Lang , *Armenia Cradle of Civilization,* London, 1970, p. 200

85 ابن العديم :المصدر السابق ، ص ٢٦٩.

86 عن أصل السلاجقة وامتداد دولتهم انظر :

الفردوسي : الشاهنامة ، ترجمة الفتح بن على البنداري ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، ط. الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٨٢ – ٩١ ؛ خواندمير:حبيب السير في معرفة أخبار البشر ، ط. بومباي ١٨٥٨م،ص ٧٤٩؛نظام الملك الطوسي : سياسة نامة ، ترجمة يوسف بكار ، قطر ١٩٨٧م ، ص ٤٦؛ أبو منصور الثعالبي : تاريخ غرر الفرس المعروف ب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طهران ١٩٣٠م ، ص ٢١٥– ٢٢٠.

وفي ذات الوقت ظهرت مجموعة من الأرمن تقدر بحوالي خمسين شخصا هاجموا الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى وقاموا بأعمال السلب والنهب والتخريب وكان من بينهم قائد عرف بالمكر والدهاء يدعى فيلاريتوس براخاميوس Philaritus Brachamius[٨٧] تقابل مع الأتراك بمرعش فانضم إليهم وأصبح يعمل لحسابهم وتحت لوائهم ،و تم الإتفاق فيما بينهم على الهجوم المشترك على الممتلكات التابعة لبيزنطة[٨٨] ومن ثم بدأت هجمات الأرمن و الأتراك تباعا على ثغور بيزنطة الشرقية ، ولاسيما حصون وقلاع قيليقة تزداد خطورة يوما بعد يوم تاركة خلفها مظاهر الخراب والتدمير.

لذا سارع الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجين Romanus IV (١٠٦٨- ١٠٧١م / ٤٦١- ٤٦٤هـ) بمحاولة استمالة فيلاريتوس إلى جانبه وأرسل في طلبه واستقبله بحفاوة بالغة بالقصر الإمبراطوري بالقسطنطينية ، وقدم له الهدايا العظيمة من الذهب والجواهر ومنحه بعض الألقاب الشرفية ورفعه كما أشار كتاب ألكسياد إلى مرتبة " القائد الدوميستيك ".[٨٩] ثم غادر الإمبراطور العاصمة القسطنطينية وتوجه على رأس جيش نحو الشرق وشن سلسلة من الهجمات العنيفة على منطقة الثغور نجح خلالها في الاستيلاء على مدينة منبج[٩٠] ومنها توجه صوب مرعش وقام بتعين فيلاريتوس براخاميوس الأرمني(٤٦٣-٤٨٢ هـ/١٠٧١-١٠٩٠م) حاكما عليها رغم شعور العداء الذي كان يكنه فيلارتيوس لبيزنطة والذي ربما كان يعلمه الإمبراطور.[٩١] وبذلك أصبحت مرعش اسميا تابعة لبيزنطة ولكن من الناحية الفعلية خاضعة لحكم الأرمن . أما الإمبراطور فلم يستطع مواصلة هجماته بسبب نقص المؤن وتفشي الأمراض في جيشه فعاد للقسطنطينية .[٩٢]

وجاءت الفرصة المناسبة للأرمن لانفراد بحكم مرعش والتخلص من التبعية البيزنطية، وذلك عقب هزيمة البيزنطيين أمام الأتراك السلاجقة هزيمة ساحقة في معركة مانزكرت الشهيرة عام ١٠٧١م[٩٣] ومنيت القوات البيزنطية بخسائر فادحة كان أقصاها

---

87 يسميه العرب باسم(الفردوس) و(الفلادروس)انظر ابن الأثير: الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٣٨.ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٨٩.

88 ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٢٦٩.

89 أنا كومنينا:ألكسياد،ترجمة حسن حبشي ،المجلس الأعلى للثقافة ، ط. الأولى ٢٠٠٤م ، ص ٢٥٣.
The Encyclopedia of Islam ,Vol. III, p. 269.

90 ويقول ابن الأثير: " في هذه السنة أقبل ملك الروم على منبج ونهبها وقتل أهلها ، وهزم محمود بن صالح بن مرداس ، وبنى كلاب، ثم إن ملك الروم ارتحل وعاد إلى بلاده من شدة الجوع"
ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ ؛ ابن العديم ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩.

91 Runciman , A history of the crusades , vol. I , Cambridge 1975, p. 73.

92 ابن الأثير:المصدر السابق،ج ١٠،ص ١٣٨،ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٥٦.

93 Cedrenus : Compendium Historiarum ,II, p. 625.

قسوة وقوع الإمبراطور البيزنطي نفسه في الأسر السلجوقي [٩٤] وعلى أثر تلك الهزيمة القاسية عُزل الإمبراطور رومانوس الرابع عن العرش وتولى ميخائيل دوقاس Michael Ducas (١٠٧١ – ١٠٧٨م) خلفا له [٩٥] وحينذاك استغل فيلاريتوس الأرميني الفوضى التى أصابت بيزنطة ورفض الاعتراف بالإمبراطور الجديد وأراد الانسلاخ عن تلك التبعية [٩٦] وأعلن استقلاله بمرعش وأعمالها عن بيزنطة، واحتمى بجبال مرعش بقواته التي بلغت ثلاثين الف جندي طبقا لتقدير بعض المؤرخين[٩٧]كما استولى على عدد كبير من الحصون والقلاع التابعة لبيزنطة والمجاورة لممتلكاته وأدخلها تحت سلطانه ومنها خرتبرت [٩٨] وابلستين [٩٩] والمصيصة [١٠٠] ورعبان [١٠١] وطرسوس [١٠٢] وعين زوربه [١٠٣] وملطية والرها،وذلك في الفترة فيما بين عامي(١٠٧٧ – ١٠٧٨م / ٤٦٩– ٤٧٠ هـ) كما خضع له الزعيم الأرميني روبين

---

[94] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ط. بيروت ١٩٠٨ م ، ص ١٣٥

Cohen C. , La Campagne de Mantzikert d' après les sources musulmanes Byzantion , IX, Brussels, 1943, p. 629.

[95] ابن العبري ، المصدر السابق ، ص ١٨٥.

[96] آنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٢٥٣ ؛ أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت، ١٩٥٦، ج ٢، ص. ١١٥؛ ج. ب. سيغال: الرها المدينة المباركة، ترجمة يوسف إبراهيم جبرا، حلب، ١٩٨٨، ص. ٢٧٣ .

قدمت الأميرة والمؤرخة آنا كومنينا تفسيرا واستنتاجا لأفعال فيلاريتوس التى قام بها آنذاك فتقول : " لما رأى سقوط رومانوس ديوجين وسَمل عينيه ضاق صدره وجف معين صبره ولم يعد يحتمل ما يجرى نظرا لحبه العميق الذي كانت تنطوي عليه جوانحه نحو هذا الإمبراطور ، وهو الحب الذي دفعه للقيام بتدبير ثورة استولى بها على زمام الأمور في أنطاكية ، ثم ما لبث أن قرر الانضمام إلى الأتراك حين رآهم يعيثون فسادا في النواحي المحيطة بالمدينة ، ثم تمادي فختن نفسه كما يفعلون".
أنا كومنينا : ألكسياد ، ص ٢٥٣.

[97] Runciman , op. cit., p. I, p. 73.

[98] خرتبرت : حصن يعرف أيضا بحصن زياد ويقع في أقصى ديار بكر من بلاد الشام بالقرب من ملطية ويفصل بينهما نهر الفرات : راجع ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٥٥.

[99] ابلستين : مدينة في بلاد الروم تقع بالقرب من مدينة أبسوس ، ويقال أنها مدينة أصحاب الكهف ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ص ١٨.

[100] المصيصة :مدينة على شاطئ نهر جيحان في شمال الشام ،وتقع بالقرب من مدينة طرسوس . ياقوت الحموي :المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٤٤، البكري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٣٥.

[101] رعبان : مدينة في منطقة الثغور تقع بين مدينتى حلب و سميساط بالقرب من نهر الفرات .
ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٣، ص ٥١، البغدادي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٨٢.

[102] طرسوس:مدينة بالثغور الجزرية في شمال الشام تقع بين أنطاكية وحلب وبالقرب من مدينة أذنة.
ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨، البكري: المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩٠.

[103] عين زوربه : بلد في شمال الشام تقع بالقرب من المصيصة .
ياقوت الحموي:المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٨، البغدادي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٧٧.

حاكم المنطقة الواقعة شمال شرقي مدينة سيس بجبال طوروس،كذلك دخل تحت سلطانه الزعيم الأرميني أوشين حاكم مدينة أذنه[١٠٤] بالاضافة إلى سيطرته على مدينة أنطاكية بعد أن قتل آخر حاكم بيزنطي فيها،[١٠٥] وبذلك أسس فيلارتوس دولة أرمينية جديدة كان مركزها مدينة مرعش.[١٠٦]

و نجد هنا أنه على الرغم من كل جهود فيلاريتوس في الاستحواز على الكثير من المدن البيزنطية ونجاحه لفترة ما في الاستقلال عن الإمبراطورية البيزنطية وتكوين دولة مستقلة خاصة به إلا أنه فشل في الإبقاء علي هذا الاستقلال وتلك المكاسب التى حققها طويلا.ويرجع ذلك في اعتقادنا وطبقا لما أوردته المصادر إلى شخصية فيلاريتوس ذاتها إذ كان شخصية غير محبوبة ومكروه من الكثيرين سواء كان من أهالي المدن التى تحت يديه أو من الجند المحاربين في صفوف جيشه ،[١٠٧]لذا تعرض فيلاريتوس إلى الكثير من المؤمرات والدسائس التى حيكت ضده، منها تلك المؤامرة التى دبرها ابنه مع بعض قادة جيشه والتى كادت أن تقضي عليه [١٠٨]وقد أوردت آنا كومنينا تفاصيل تلك المؤامرة فتقول : " أن ولده أنكر عمله المزري هذا أشد الإنكار ونهاه عن جنونه فلم ينته ،فكان دافعا له إلى المضي على نيقية فوصلها بعد سفر استغرق منه ثمانية أيام صادف فيها أقصى ضروب الشدة ،ودخل على الأمير سليمان الذي كان قد تبوأ السلطنة حالا ،وراح يحثه على محاصرة أنطاكية ومتابعة الحرب ضد أبيه ، فأستجاب له سليمان الذي كان موشكا على الخروج إلى أنطاكية ،ومن ثم عين أبا القاسم واليا على نيقية وجعل له السلطة العليا على جميع المحاربين ،ودخل سليمان وفي معيته ابن فيلاريتوس أنطاكية ..". [١٠٩]هذا فضلا عن عدم قبول الأتراك السلاجقة أو السماح له بالتوسع على حسابهم إذ كان في نظرهم مجرد تابع لهم حاول كسب ودهم باستمرار .

---

[104] أذنة : بلد من الثغور تقع بالقرب من المصيصة وبينها وبين حمى فيد وعشرين ميلا راجع:
ابن عبد الحق البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨.

[105] أنا كومنينا : المصدر السابق ، ٢٥٣.

[106] لقد قام الأرمن بهجرة كبيرة في القرن الحادي عشر الميلادي من بلادهم حول بحيرة فان متجهين جنوبا إلى قيليقية بعد أن تعذرت إقامتهم في بلادهم في ظل ظروف المد السلجوقي في شرق آسيا خاصة بعد أن تمكن المغامر الأرميني فيلاريتوس من إقامة دولة أرمينية في قيليقية عام ١٠٧٧ – ١٠٨٣م وبسقوط دولته خضع سهل قيليقية لسلطان السلاجقة ، وكان الأرمن كارهين للتبعية البيزنطية أو الخضوع لسلطة السلاجقة

Runciman , op. cit., p. I, p. 195.

[107] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ،ص ١٣٨.

[106] Michael The Syrian , Chronique, Vol. III, p. 173.

[109] أنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٤٠٤.

وفيما يبدو أن فيلاريتوس كان بارعا سياسيا ولم يشأ أن يفقد أية مساندة من جانب القوى السياسية المحيطة به في المنطقة ،لذا اتخذ سياسة معتدلة مع الجميع فتودد للبيزنطيين واعترف بالإمبراطور نقفور الثالث (١٠٧٨- ١٠٨١ / ٤٧١- ٤٧٤هـ) فور اعتلائه العرش ربما كانت محاولة منه لإضفاء الشرعية على حكمه للممتلكات والمدن التى وقعت تحت يديه، وبالفعل أقره الإمبراطور البيزنطي على المدن التى كانت بحوزته وكذلك الإمبراطور ألكسيوس كومنين (١٠٨١ – ١١١٨م / ٤٧٤- ٥١٢هـ) فيما بعد.[١١٠]

في حين نجده أيضا لا يتوانى عن التودد والتقرب دائما للأتراك السلاجقة ،إذ أشارت المصادر إلى توجه فيلاريتوس بنفسه عام ١٠٨٦م / ٤٧٩هـ لأستقبال السلطان ملكشاه عقب استيلاءه على الرها سلما والتى كانت خاضعة آنذاك لفيلاريتوس ،فتعهد للسلطان بتقديم ضريبة سنوية والاعتراف بالخليفة العباسي،لذلك أبقاه السلطان على مرعش بدلا من الرها والتي أنهى حياته بها.[١١١]كما وطدت علاقته بكل القوى الإسلامية الموجودة بالساحة آنذاك فأخذ يتقرب إلى شرف الدولة مسلم بن عقيل أمير الموصل الذي جعله نائبا له على أنطاكية مقابل دفع الجزية السنوية للموصل [١١٢] وتقديرا من فيلاريتوس قام بضرب العملة باسم أمير الموصل تودددا له واعترافا بفضله. [١١٣] ويبدو أن فيلاريتوس حاكم مرعش لم يكتف بتلك الصلات القوية التى أقامها مع الحكام المسلمين بل سارع إلى زيارة بغداد وأعلن طاعته للخليفة العباسي ويقال أنه أشهر إسلامه آنذاك.[١١٤]

ولم تفلح جهود فيلاريتوس في المحافظة على دولته الأرمينية التى أسسها ، إذ سرعان ما مُزقت أوصَراها وانفرط عقدها في أواخر حياته و استولى سليمان بن قلتمش السلجوقي (٤٧٤- ٤٧٩ هـ / ١٠٨١- ١٠٨٦م) على مدينة أنطاكية بمعاونة ابن فيلاريتوس نفسه كما تبين من قبل عام ١٠٨٤م/ ٤٧٧هـ [١١٥] كما هاجم محمد بن جبق السلجوقي قلعة خرتبرت واستولى عليها عنوة. [١١٦]في حين سيطر سلاجقة الروم

---

[110] أنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٤٠٤.

[109] Bar Herbraeus , The Chronograph of Gregory Abul Faraj , Vol. I , English trans. , London 1932, pp. 230 – 231.

[112] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠، ١٤٠.

[113] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠، ١٤٢.

[114] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠، ٤٢٧.

يقال أن فيلاريتوس أرتد ثانية عن الإسلام ومات مسيحيا. راجع :

p . 79. Runciman , op. cit, vol. I,

[115] أنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٢٥٤.

[116] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠، ٤٢٧.

على مدينتي طرسوس[١١٧] و الرها.[١١٨] وعقب وفاة فيلاريتوس عام ١٠٩٠م / ٤٨٣هـ تفتت الدولة وتلاشت و وزعت مدنها بين صغار قادة الأرمن ، فكانت مَرْعَش من نصيب القائد ثاتول الأرميني Thatoul ،[١١٩] كما وقعت رعبان وكيسوم في شمالي مرعش تحت سيطرة كواسيل ، وأخذ جبرائيل ملطية ،[١٢٠] أما بقية المدن الأخرى فقد قسمت بين كافة القادة الأرمن الذين رسموا أخر سطور لنهاية دولة أرمينية لم تدوم طويلا.[١٢١]

و دخلت مدينة مَرْعَش في مرحلة جديدة من تاريخها السياسي حينما طرقت أبوابها خيول جنود الحملة الصليبية الأولى الذين وصلوا إليها في الثالث عشر من أكتوبر عام ١٠٩٧م / ٢٤ شوال ٣٩١هـ بقيادة جود فري دي بويون فاستقبلهم حاكمها ثاتول بالود والترحاب وفتح لهم أبواب المدينة على مصرعيه،[١٢٢] وقدم لهم المساعدة و زودهم بالمؤن والعتاد[١٢٣] وكافة احتياجاتهم اللازمة لمواصلة حملتهم إلى بلاد الشام ومنها إلى بيت المقدس ،[١٢٤] فاطمأن له الصليبيون وأقروه في منصبه حاكما على المدينة في ظل التبعية البيزنطية .[١٢٥] ومكث الصليبيون بمرعش خمسة أيام ثم غادروها في اليوم

---

115 William of Tyre , A History of deeds done beyond the sea , 2 Vols, Trans by Emily Babcock , New York 1943, Vol. II, p. 319.

118 ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠، ٤٢٧.

117 Michael The Syrian, Chronique, Vol. III, pp. 186 - 187.

118 Ibid , op. cit., p. 187.

121 لم يبق في معترك السياسة الأرمينية في آسيا الصغرى سوى إمارتين هما الإمارة الهيثومية والإمارة الروبينية اللتين ظلتا تتنافسان وتتناطحان لأجل الانفراد بالسلطة. أما أسرة الهيثوميين، فمؤسسها الأمير أوشين الأول (٤٦٥ ــ ٥٠٤ هـ/ ١٠٧٣ ــ ١١١٠ م) الذي نزح إلى قيليقيا في سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م. وعلى أثر معركة ملانكرد، التجأ إلى أبي غريب الأرميني حاكم طرسوس الذي منحه قلعتي لامبرون وبابرون وزوجه من ابنته مورفيا .

أنطوان خانجي: مختصر تواريخ الأرمن، أورشليم (القدس)، ١٨٨٦، ص. ٢١٥.

أما الأسرة الروبينية، فإن أصلها لا يقل غموضاً عن الأسرة الهيثومية؛ إذ ينتسبون إلى روبين الأول (٤٧٣ ــ ٤٨٩ هـ/ ١٠٨٠ ــ ١٠٩٥ هـ)، وهو أحد أقرباء جاجيك ملك أرمينيا الكبرى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م. واستقر روبين في بعض القلاع الشرقية، ثم خلفه ولده قسطنطين ليدعم نفوذ الأسرة الروبينية في قيليقيا في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي .

Sirape Der Nersession, , *The Armenians*, Paris, 1977, p. 44.

122 بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ، ترجمة حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠١م ، ص ١١٩؛ المؤلف المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة د. حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ٤٨.

123 المؤلف المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٤٨ .

بطرس توديبود : المصدر السابق ، ص ١١٩.

124 Fulcher of Chartres , A History of the expedition of Jerusalem (1095 – 1127) , Tennessee , U.S.A , 1969, p. 88.

125 Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 187.

السابع عشر من نفس الشهر بعدما انقسموا إلى جيشين أحدهما فرعي بقيادة بلدوين دي بويون و اتجه نحو الرها، [١٢٦] في حين توجه القسم الآخر والذي شكل أغلبية المحاربين إلى مدينة أنطاكية .[١٢٧] وقبل أن ينقسموا ودع بلدوين دي بويون زوجته جودفرى Godvere الوداع الأخير والتى توفيت بمرعش آنذاك [١٢٨] وبعدها رحل الصليبيون بعد أن تركوا بمرعش أسقف لاتيني .[١٢٩]

ولم يكن مستغربا أن يستقبل ثاتول حاكم مرعش الصليبيين بتلك الحفاوة والمودة وقد استقبلهم الإمبراطور البيزنطي بنفس الحفاوة من قبل ،[١٣٠] وبما أن مرعش كانت تابعة للممتلكات البيزنطية ، فربما وجب علي ثاتول آنذاك اتباع نفس سياسة بيزنطة ونهجها، أو من الجائز أن يكون ثاتول قد خشيا على مدينته من بطش الصليبيين بها فاتخذ سياسة سلمية ليأمن شرهم وينجو بنفسه وبالمدينة من خطرا لا يأمن عقباه. وأيا كان الأمر فقد بقيت مرعش في قبضة ثاتول الأرميني وتحت السيادة البيزنطية . ولم تقتصر جهود ثاتول بتقديم تلك الخدمات الجليلة للاتين بل حرص على إقامة علاقات وطيدة معهم ، حتى أنه قام بتزويج ابنته من بلدوين دي بويون أمير الرها الصليبية (١٠٩٨ - ١١٠٠م/ ٤٩٢- ٤٩٤هـ) ودفع ثاتول له صداقا كبيرا يقدر بستين ألف بيزانت ، ولم يكتف بذلك بل وعده بأنها سترث كل أملاكه بعد وفاته .[١٣١]

وعلى الرغم من ذلك لم تنج مرعش من الأطماع فيها أثناء الوجود الصليبي في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، بل أصبحت ميدانا للصراع والتكالب بين كل من الصليبيين والأرمن والقوى الإسلامية الأخرى التى طمحت في الاستيلاء عليها، فحسبما أشارت المصادر فقد تعرضت المدينة للهجوم في عام ١١٠٠ م / ٤٩٣هـ من قبل أمير أنطاكية الصليبي بوهمند الأول النورماني Bohemond I (١٠٩٨- ١١٠٤م / ٤٩١- ٤٩٧هـ) الذي حاول الإستيلاء عليها بتحريض وإيعاز من جبرائيل حاكم ملطية والذي أراد الانتقام من ثاتول حاكم مرعش لوجود نزاع بينهم [١٣٢] فدفع بوهيمند للهجوم على مرعش خوفا من قيام ثاتول بالإغارة علي ملطية.[١٣٣] ولكننا لا نستبعد

---

126 Fulcher of Chartres, op. cit., p. 89.

127 ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٣٤، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٧٤.

128 Runciman , op. cit, vol. I, p. 195.

129 The Encyclopedia of Islam ,Vol. III, p.269.

130 بطرس توديبود : المصدر السابق، ص ٧٨ ؛ أنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٤٠٢.
ريموناجيل:تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، نقله إلى الإنجليزية جون هيوج هيل و لوريتال هيل ، ترجمه إلى العربية د. حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية ، ط. ٢٠٠٢م ،ص ٧١.
المؤلف المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٢٣- ٢٤.

131 Setton Kenneth, *A History of the Crusades*, Pennsylvania, 1995, vol. II, p. 633.
Runciman , op. cit, vol.I, p p. 208- 209.

132 Michael The Syrian ,op. cit., Vol. III, p. 187.

133 Mattieu d' Edesse, Chronique, in R. H. C., Occ.,Vol. I, p. 51.

هنا وجود أغراض ومطامع أخرى خاصة في نفس بوهيمند النورمانى من وراء هـذا العمل وخاصة وأنه يدرك تماما خطورة قيامه بالهجوم على المدينة والتـى كانـت لا تزال تابعة للتاج البيزنطي مما يعنى عداوة بيزنطة نفسها.[١٣٤] ومهما كانت الأسباب فلم يقدر لهذا الهجوم النجاح وكل ما استطاع بوهيمند فعله هو الـسيطرة علـى المنطقـة المكشوفة المحيطة بالمدينة .[١٣٥] في حين أرسل الإمبراطـور البيزنطـي ألكـسيوس كومنين (١٠٨١- ١١١٨م / ٤٧٤- ٥١٢ هـ) طبقا لرواية آنا كومنينـا جـيش كثيف بقيادة بوتوميتس للدفاع عن المدينة ورد الصليبين عنها واستولى خلالها علـى مرعش وعلى القرى المجاورة لها،[١٣٦] ولم يمكث القائد البيزنطي عـدة أيـام حتـى استدعاه الإمبراطور للقدوم إلى القسطنطينية ،فغادر بوتوميتس مرعش بعد أن ترك بها حامية بيزنطية كافية لحماية المدينة بقيادة مونستراس لمواجهة التهديد الصليبي لمنطقة قليقية بأكملها.[١٣٧] فاستغل بوهمند فرصة خروج القائد البيزنطـى مـن المدينـة،وعاود الهجوم على المدينة بعدما تحالف مع الأمير جوسلين دي كورتنـاى Joscelin de Courtenay حاكم تل باشر ،وبناء علي ذلك ضربت القوات الصليبية الحصار حـول مرعش للمرة الثانية وشددوا خلالها الحصار على الرغم من وقوع بوهيمند في أسـر الدانشمند[١٣٨] حتى عجزت المدينة عن مواصلة المقاومة ،واضطر ثاتول في النهاية إلى الاستسلام والتخلي عن المدينة للأمير الصليبي جوسلين الذي سمح له بمغادرة مرعش والرحيل إلى القسطنطينية وذلك في عام ١١٠٤م / ٤٩٧هـ.[١٣٩] وتنتهى بذلك السيطرة

---

[134] بوهيمند (١٠٥٠- ١١١١م) ابن روبرت جويـسكارد Robert Guiscard الـذي سـبق وأن حارب بيزنطة (١٠٨١- ١٠٨٥م) وآلت أملاك روبرت جويسكارد في جنوب ايطاليا إلى روجـر بورسا Roger Borsa الأخ الأصغر لبوهيمند من أبيه . فشارك بوهيمند في الحملة الصليبية الأولى على أمل أن يحوز لنفسه على اقطاع في الشرق الأدنى ويكون لنفسه إمارة قوية خاصة به. انظر :
Rey E. G., Resume de Histoire des Princes d' Antioche , in R. O. L. , Vol. VIII, Paris, 1900-1901, p. 362. ; Albert d' Aix , op. cit., p. 648 ; Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 79.

[135] Michael The Syrian , op. cit., Vol. III, p. 187.

[136] آنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٤٤٥.
Runciman , op. cit, vol. II, p. 40, The Encyclopedia of Islam ,Vol. III, p. 269.

[137] آنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٤٤٥.

[138] Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 75.
وخلال تلك الأحداث توجه بوهيمند شمالا لمساعدة جبرائيل حاكم ملطية الأرميني ضد الأمير غازي كمشتكين بن الداتشمند الذي تمكن من أسر بوهيمند في أغسطس ١١٠٠م / أوائل رمضان ٤٩٣هـ . انظر
, op. cit., p. 135, Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 52. Fulcher of Chartres

[139] Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 187.
يضيف ميخائيل السرياني أن ثاتول أثناء مغادرته مرعش باع صورة أم السيد المسيح مقابـل مبلـغ ضخم من المال للأمير ثوروس ابن قسطنطين الروبينى .
Ibid, op. cit., p. 187.

البيزنطية على مرعش ،وتنتقل بتبعيتها إلى الصليبين لتبدأ مرحلة جديدة في الصراع اللاتيني الأرميني حولها.

وقد تسلم جوسلين دي كورتناي مدينة مرعش بوصفه نائبا لبلدوين دى بورج Baldwin du Bourg حاكم أمارة الرها الصليبية الذي أصبح ملكا فيما بعد على بيت المقدس (١١١٨ – ١١٣١م / ٥١٢- ٥٢٥هـ) وبذلك أصبحت مدينة مرعش تابعة لأمارة الرها الصليبية ،[١٤٠] ولكن نظرا لوقوع كل من بلدوين دي بورج وجوسلين دي كورتناى أسيرين في قبضة المسلمين عقب معركة حارم عام ١١٠٤م / ٤٩٧هـ [١٤١] أصبحت الرها ومرعش تحت وصاية تنكريد الأول أمير أنطاكية (١١٠٤- ١١١٢م / ٤٩٧ – ٥٠٦هـ) فقام تنكريد بتعيين ابن عمه ريتشارد نائبا عنه في حكم مرعش والرها، وقد ساءت سيرته وعرف بالجشع والقسوة [١٤٢]خاصة في معاملة أهالى تلك المدن الذين عانوا الأمرين في ظل وصاية تنكريد وأقاربه،ولاسيما بعد قيام تنكريد بتجنيد عدد كبير من سكان المدينة بالجيش لسد العجز في عدد الجنود مما جعل السكان يأنون من حكم تنكريد الظالم لهم .[١٤٣]

وتم إطلاق سراح بلدوين دي بورج عام ١١٠٨ م / ٥٠٢هـ وكان من الطبيعي حينذاك أن تعود الرها ومرعش إليه مرة أخرى ،[١٤٤] غير أن تنكريد رفض تسليم المدن له فلجأ بلدوين إلى الاستعانة بقادة الأرمن في منطقة قيليقية وفي مقدمتهم كواسيل حاكم كيسوم،وأوشين حاكم قيليقية وطلب نجدتهم، فلبوا طلبه على الفور وأرسلوا قواتهم لمناصرته ضد تنكريد ،وتفاقم الخلاف وأوشكت أن تقوم الحرب بينهم لولا تدخل برنارد بطريرق كنيسة أنطاكية الذي أنهى الخلاف وأقنع تنكريد بالانسحاب من الرها وتركها [١٤٥]

أما مرعش فقد بقيت في حوزة تنكريد وصهره ريتشارد حتى عام ١١١١م / ٥٠٥هـ عندما هاجم كواسيل الأرمني المدينة ونجح في الاستيلاء عليها منتهزا فرصة انشغال تنكريد وريتشارد في محاربة مودود أتابك الموصل ،[١٤٦] فعادت مرعش ثانية لحكم

---

[140] William of Tyre, op. cit., Vol. I, pp. 287 , 369, 522.

[141] آنا كومنينا : المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 459.

[142] Albert d' Aix , Historia Hierosolymitana, in R. H. C., Occ., vol. IV , p. 620.

[143] Radulph of Caen , Gesta Tancridi Siciliae Regis in Expeditione Hierosolymitana , in R. H. C., Occ., vol. III, p. 714; Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 195.

[144] Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 79.

[145] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٦١ – ٤٦٢.

[146] كلف السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى أتابك الموصل شرف الدين مودود بالقيام بمحاربة الصليبين في أطراف العراق وبلاد الشام ، فقام بحملته الأولى ضد الرها سنة ١١١٠م / ٥٠٤هـ واشترك معه عدد من الأمراء المسلمين المستفدين من الخلاف الذي وقع بين أمراء الأمارات الصليبية في الشمال خاصة في الرها وأنطاكية ، وأمام الهجوم الإسلامي أرسل بلدوين دي بورج=

الأرمن وانضمت إلى كيسوم ورعبان تحت سيادة كواسيل .[١٤٧] والسؤال هنا لماذا قام كواسيل بالاستيلاء على مرعش رغم علمه بأنها كانت في الأصل من حق حليفه السابق بلدوين دي بورج الذي ناصرة من قبل ؟ فعلى ما يبدو أن السياسة التعسفية التى اتبعها بلدوين دي بورج ضد الأرمن في الرها عقب عودته إليها ثانية ،[١٤٨] كان لها الأثر السئ في تغيير موقف كواسيل تجاه بلدوين بعدما وجد منه سوء معاملة أقاربه من الأرمن،لذا قام بالهجوم على مرعش واستولى عليها دون تردد.[١٤٩]

وكان استيلاء كواسيل على مرعش صفعة كبيرة للصليبين،و شعروا بعدها بالخطرمن ناحيته ،فازدياد نفوذ كواسيل واتساع ممتلكاته بمنطقة قيليقية كان بمثابة تهديد لإمارة الرها وأنطاكية ،وهنا تقاربت المصالح بين بلدوين دي بورج وتنكريد مرة أخرى رغم العدواة التي بينهم ،واتفقوا على محاربة كواسيل للحد من نفوذه واسترداد مرعش من قبضته،مما جعل الأخير يطلب النجدة والمناصرة من حاكم الموصل آقسنقر البرسقي[١٥٠] وخلال زحف تنكريد بجيشه نحو مرعش لاسترادادها مرض بالطريق فعاد إلى أنطاكية[١٥١] ومات بها وذلك في ديسمبر ١١١٢م / جمادي الآخرة ٥٠٨هـ .[١٥٢] أما

=وتابعه جوسلين دي كورتناى إلى ملك بيت المقدس يطلبون المساعدة ضد المسلمين ويشيران إلى شكوكهما في تنكرد أمير أنطاكية ، ويشير المؤرخ متى الرهاوي إلى أن الملك بلدوين عرج في طريقه على أنطاكية حيث أقنع تنكرد بمصاحبته على رأس فرسانه ، بينما تشير بقية الروايات إلى أن الملك أرسل بعد وصوله إلى الرها يستقدم تنكرد تحسبا للدخول في معركة مع المسلمين ، فقدم على رأس نحو ألف وخمسمائة فارس وأنضم إلى قوات الصليبيين ، على حين انضمت إلى قوات الملك قرب سيميساط جموع أخرى من الأرمن حتى بلغت قوات الملك نحو خمسة عشر ألف محارب ، فوصل إلى الرها في أواخر يونيو سنة ١١١٠م . وفي نفس الوقت كان مودود قد وقف عاجزا أمام حصانة الرها وجدية الدفاع عنها ، فلما اقترب الصليبيون فضل الارتداد عن الرها والاتجاه نحو حران.

Albert d' Aix , op. cit., p. 670 ; Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 91 ; Fulcher of Chartres, op. cit., p.425; Runciman , op. cit., Vol. II, p. 116.

محمد الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين ، ط. ١٩٩٤م ، ص ٢٢١.

147 ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٢.

Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 100.

148 Mattieu d' Edesse, op. cit., pp. 100, 268.

149 أطلق على حاكم كيسوم اسم كواسيل وهو يعنى اللص باسيل لأنه سرق عدة قلاع وحصون من الثغور فتملكها الأرمن . انظر : ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩.

150 ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٠١.

151 ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٨٣.

152 Fulcher of Chartres, op. cit., p.425.

وتشير بعض الكتابات التاريخية إلى أنه في عام ١١١١م اقترب مودود أتابك الموصل من ممتلكات تنكرد فأرسل الأخير على الفور في طلب النجدة من الملك بلدوين الأول الذي سارع إليه على رأس قواته في الحال ، و انضم إليه بلدوين دي بورج أمير الرها و برتراند أمير طرابلس ، كما ساهم=

بلدوين فعلى ما يبدو أنه نجح في استرداد المدينة فيما بعد ،وعلى الأرجح خلال حملاته العسكرية على منطقة قيليقية والمناطق المجاورة لها فيما بين عامي ١١١٥م و ١١١٨ م/ ٥٠٩- ٥١٢هـ [١٥٣] وإن لم تشر المصادر إلى ذلك صراحة وإنما أشارت إلى تولى جفري الراهب Gaufridus Monacus بوصفه نائبا [١٥٤] عن جوسلين دي كورتناى عام ١١١٩ م / ٥١٣هـ وهذا يعنى أن مرعش ظلت بيد كواسيل الأرمينى ما يقرب من سبع سنوات على الأقل، وخاصة وأن جوسلين أصبح حاكما على الرها خلفا لبلدوين الذي أصبح ملكا على بيت المقدس و توج تحت اسم بلدوين الثاني (١١١٨ - ١١٣١م / ٥١٢ - ٥٢٥هـ). [١٥٥]

وانفرد ابن العبري بالإشارة إلى أن كواسيل توفي في عام ١١١٤م / ٥٠٨هـ تاركا حكم مرعش ورعبان وكيسوم لزوجته التى تحصنت من الفرنج وكونت جيش كبير من الفرسان والمشاة وكانت تعطى شهريا لكل فارس اثنا عشر دينارا ذهبيا ولكل جندي من المشاة ثلاث دنانير. ويصف ابن العبري زوجة كواسيل بأنها كانت إمرأة عاقلة دبرت أمور مرعش وكيسوم ورعبان أحسن تدبير،وقد راسلت الأمير أقسنقر البرسقي وهو على الرها تقول : " إن زوجى وصانى بعد موته أن أخالط المسلمين و أن أجانب الفرنج و أنا من الموالين لك فأرسل إلى من اجتمع به و أكون تحت أمرك."[١٥٦]فلبى الأمير أقسنقر طلبها وأرسل إليها أحد أصحابه ومعه مائة رجل فطلبت منه أن يدخلهم معه إلى مرعش[١٥٧]لكنه تركهم على شاطئ الفرات فحذرته وقالت أنه قد بلغها أن الفرنج عازمون على قصدهم فلم يستمع لنصحها فهاجم الفرنج أصحابه،فلما علم المسلمون بذلك هاجموهم وقتلوا منهم عددا كبيرا . ورجع الرسول ومعه الهدايا من صاحبة مرعش للأمير مسعود بن السلطان محمد السلجوقي والبرسقي،وقد أذعنت لهم بالطاعة.[١٥٨]وفي عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ ضرب مرعش زلزال قوي جعلها مقبرة

=معهم كواسيل حاكم مرعش وكيسوم ورعبان بإمدادات من الأرمن حتى بلغت قواته نحو ستة عشر ألف مقاتل من الفرسان والرجالة مما يعنى أن علاقة كواسيل بالقوى الصليبية بشمال الشام لم تكن سيئة بالدرجة الكبرى بل تعاون معهم وقدم لهم يد المساعدة وقت الحاجة بقوات وإمدادات تعينهم على مواجهة الهجوم الإسلامي . الأمر الذي يجعلنا نتسأل كيف تم هذا التعاون في وقت كانت القوى الصليبية تتحالف ضد كواسيل وتعمل على إزاحته عن حكم مرعش. للمقارنة راجع :

Runciman , op. cit., Vol. II, p. 122 ; Grousset, op. cit., p. 466.

153 Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 100 ; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 529.

154 Walter The Chancellor , Bella Antiochena , in R.H. C. , H- Occ. Vol. V, p. 108.

155 Fulcher of Chartres, op. cit., p.178 ; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 369.

Runciman , op. cit., Vol. II, p. 122 ; Grousset, op. cit., p. 466.

156 Bar Herbraeus , , op. cit., p. 348.

157 ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ، مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ ، ص ٨٠.

158 Bar Herbraeus , , op. cit., p. 348.

للأهالي،ثم دخلت مرعش ضمن اقطاع يضم كيسوم ورعبان[١٥٩] في حوزة الملك بلدوين الثاني.

فغدت مرعش منذ ذلك الحين تتبع حاكم إمارة الرها الصليبية وعندما وقع جوسلين في الأسر على يد بلك غازي بن بهرام حاكم خرتبرت [١٦٠] أسند الملك بلدوين حُكم مدينة مرعش لجفري الراهب، و كانت مرعش خلال تلك الفترة التاريخية الهامة ساحة للصراع بين الكيانات السياسية المختلفة والمتناحرة ببلاد الشام مثل الصليبين والمسلمين والأرمن وغيرهم ، فبمجرد تمكن جوسلين من الهرب من قلعة خرتبرت وعودته إلى الرها وقع الملك بلدوين الثاني هو الآخر في أسر المسلمين وسُجن في أحدى قلاع حران [١٦١] وراح جوسلين ينهض بعبء الدفاع عن الإمارات الصليبية ، و شن حملات انتقامية على المناطق القريبة من حران،رغبة منه في فك أسر الملك الصليبي بلدوين الثاني ،إلا أنه فشل في ذلك لأن بلك بن بهرام عاد فنقل الملك ليسجن في قلعة حلب ،فكان على جوسلين مواصلة حربه،يسانده في تلك الحملات جفري نائبه في حكم مرعش،[١٦٢] وعليه تجددت الاشتباكات بين المسلمين وجوسلين وجفري عدة مرات و لم يكن هناك فيها نصرا حاسما لأحد من الأطراف،بل كانت الحرب سجالا بينهم حتى تمكن المسلمون من إحراز النصر على الصليبين في معركة بالقرب من منبج في ربيع الأول عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤م قتل فيها عدد كبير من اللاتين وكان من بين القتلى جفري حاكم مرعش نفسه.[١٦٣] فآلت المدينة بعد مقتل جفري الى

---

159 Bar Herbraeus , , op. cit., p. 247.

160 ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٩٣؛ ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢ ، ص ٢٠٦. وانظر أيضا :
Fulcher of Chartres, op. cit., p. 240.
Mattieu d' Edesse, op. cit., p. 131 ; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 540.

161 تم أسر الملك الصليبي بلدوين الثاني على يد بلك بن بهرام في أواخر أبريل عام ١١٢٣م / صفر ٥١٧هـ . راجع :
ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢ ، ص ٢١٠.
Fulcher of Chartres, op. cit., p. 246.
William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 538.

162 عن تلك الغارات التى قام بها جوسلين راجع :
ابن القلانسي:المصدر السابق ، ص ٢١١ – ٢١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢ ، ص ٢١٠.
Fulcher of Chartres, op. cit.,p p. 247- 248; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 542.
توفي بلك بن بهرام سنة ١١٢٤م وآلت حلب من بعده إلى أمير أرتقي آخر هو الأمير تعرتاش بن إيلغازي والذي وافق على إطلاق سراح الملك بلدوين الثاني مقابل دفع مبلغ كبير من المال ورد بعض القلاع والحصون المشرفة على حلب .
ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ط. حيدر أباد ١٣٥٧هـ ، ج ٩ ، ص ٢٣٣، ٢٤٣.

163 ابن القلانسي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦١٩؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦.=

جوسلين دي كورتناي حاكم الرها وتل باشر مرة أخرى واستمرت بحوزته حتى وفاته عام ١١٣١م / ٥٢٦هـ ثم انتقلت بالوراثة إلى ابنه جوسلين الثاني من بعده والذي أوكل إدارة شئون مرعش وكيسوم معا إلى أحد فرسانه ويدعى بلدوين .[١٦٤]

وقد أثبتت المواقف التى تعرضت لها مدينة مرعش خلال تلك الفترة التاريخية أن بلدوين لم يكن بالحاكم الجدير بقيادة المدينة آنذاك لضعفه الشديد ، وتخاذله في الدفاع عنها وحمايتها، بل وعجزه عن حماية ممتلكاته التابعة له، خاصة في وقت بدأت فيه اليقظة الإسلامية تقوى على يد مودود واقسنقر وتنمو على يد عماد الدين زنكي حاكم الموصل وحلب ،[١٦٥] و أحرز المسلمين انتصارات عديدة بمنطقة شمال الشام وظهر تفوقهم العسكري ، في حين تراجعت كفة الصليبين بالمنطقة بشكل كبير وأصبح أقصى ما يتطلعون إليه هو الحفاظ على ما تحت أيدهم من ممتلكات.[١٦٦]وقد تلقت مرعش والمناطق التابعة لها عدة ضربات وهجمات من قبل المسلمين والأرمن خاصة بعد قيام التحالف المشترك بين ليو الأول الأرميني وأمير الدانشمند محمد الثاني ابن غازي عام ١١٣٥م / ٥٢٩هـ[١٦٧]الذين قاموا بمهاجمة المناطق الخاضعة لنفوذ بلدوين حاكم مرعش وكيسوم ونجحوا في الاستيلاء على قلعة سرفنتيكا[١٦٨]دون أن يتحرك بلدوين ساكنا للدفاع عنها.[١٦٩]كما هاجم الأفشين التركي قائد سيف الدين سوار نائب عماد الدين زنكي في حلب عام ١١٣٦م / ٥٣٠هـ المناطق المحيطة بمدينة مرعش وكيسوم وعجز بلدوين عن حمايتها أو الدفاع عنها.[١٧٠]وبذلك تعرضت مرعش لكثير من الأخطار في ظل وجود هذا الحاكم الضعيف الذي لم يكتف بذلك بل تدخل في الصراع الدائر بين ريموند الثاني أمير أنطاكية (١١٣٦- ١١٤٩م / ٥٣٠ - ٥٤٤هـ) وبين ليو الأرميني إذ شارك أمير أنطاكية في حملته على ليو الأرميني عام ١١٣٦م / ٥٣٠هـ والتى انتهت بانتصار ليو الأرميني بفضل مساندة ابن اخته جوسلين الثاني له ، والذي حاول إنهاء الحرب بينهم ودعا الطرفين إلى الصلح وعقد المفاوضات ،

=Fulcher of Chartres, op. cit., p. 248.
William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 542.

[164] Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 230 ; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 158.

[165] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٦٢ .

[166] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٦٣ . و أشار ابن الأثير بقوله " اراد الفرنج حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع ".

[167] Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 231.

[168] سرفنتيكار : قلعة حصينة في بلاد الأرمن ، تقع بالقرب من البر الغربي الجنوبي لنهر جيحان، وعلى بعد أربعة أميال من تل حمدان ، راجع :
القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة ١٩١٣م ، ج ٤ ، ص ١٣٤.
Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 233.

[169] Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 244.

[170] ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦.

فوافق ليو على أن يجتمع ببلدوين حاكم مرعش، ولكن بلدوين غدر بالأمير الأرميني وقبض عليه وأرسله أسيرا إلى أنطاكية [١٧١] الأمر الذي جعل أمير الدانشمند محمد الثاني ابن غازي يقوم بشن غارات عنيفة انتقامية بجيش كبيرعلى المناطق المحيطة بمرعش وكيسوم. [١٧٢] والتى لم يكن بوسع بلدون أيضا الدفاع عنها فيما بين عامي ١١٣٥ – ١١٣٧ م / ٥٣٠ – ٥٣٢هـ فأحرق معظم القرى والأديرة المجاورة لها لكنه لم يدخل المدينة واكتفى بقطع مياه النهر عنها وتخريب حدائقها المحيطة بها، لذا لم يجد الأهالي بتلك القرى بد من الاستسلام . [١٧٣]

وقد أدرك الصليبيون مدى خطورة الهجمات الإسلامية المتتالية على الممالك اللاتينية بشمال الشام ومحاولات عماد الدين زنكي لتوحيد الجبهة الإسلامية التى كللت معظمها بالنجاح ، [١٧٤] و في ذات الوقت كانت هناك محاولات أخرى جادة من جانب الإمبراطور حنا كومنين John Comnenus (١١١٨ – ١١٤٣م/ ٥١٢– ٥٣٨هـ) لاستعادة أنطاكية وضمها لاملاك الدولة البينزنطية ،فلم يجدوا مخرجا من هذا المأزق الذي تعرضت له الممالك الصليبية في الشرق سوى المهادنة والتحالف مع الإمبراطور البيزنطى الممثل الشرعي لتلك الأراضي والتعاون المشترك لقتال المسلمين،فتوجه الأمير ريموند الثانى إلى معسكر الإمبراطور البيزنطي أمام أنطاكية،وأقسم له بالولاء والطاعة،وتم الاتفاق على العمل سويا لمواجهة المسلمين ،فأكتفى الإمبراطور حنا كومنين برفع العلم البيزنطي على قلعة أنطاكية [١٧٥] وتوجه إلى قيليقية في سبتمبر ١١٣٧م / ذي الحجة ٥٣١هـ حيث قدم إليه بلدوين حاكم مرعش وكيسوم وبذل له يمين الولاء والطاعة والتمس منه الحماية من الهجمات الإسلامية على مرعش. [١٧٦]

بدأ الحلف البيزنطى الصليبي المشترك في مهاجمة المدن والقلاع الإسلامية في شمال الشام ،وقد شارك حاكم مرعش وكيسوم القوات البيزنطية في الاستيلاء على مدينة

---

[171] Gregory the Priest , Continuation of Matthew of Edessa □ Chronicle , in R. H. c. Doc. Arm., Vol. I, p. 152.

[172] Ibid, op. cit ., p. 152.

[173] Ibid, op. cit ., pp. 152 -153 .

[174] بعد مقتل البرسقي سنة ١١٢٦م ،ظهر على مسرح الأحداث عماد الدين زنكى ،الذي ولاه السلطان محمود بن محمد أتابكية الموصل في سبتمبر ١١٢٧م ،ثم ضم زنكي مدينة حلب في العام التالي في فبراير ١١٢٨م،وربط شمال العراق بشمال الشام ،و واصل إرساء قواعد الجبهة الإسلامية المتحدة بعد أن توسع في حدود إمارته واستولى على المدن والحصون والقلاع المحيطة،وفرض نفوذه على الامارات الإسلامية في أواسط بلاد الشام مثل حمص وشيزر وغيرها . ومثلت جهوده علامة بارزة في الجهاد الإسلامى في الربع الثاني من القرن الثاني عشر الميلادى.
ابن واصل:مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، دار القلم ١٩٥٣م ، ج ١، ص ٥٨.

[175] ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٨، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٥١.

[175] Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 245 ; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 159.

البلاط [١٧٧] في يوم الخميس الحادي عشر من أبريل ١١٣٨م / الثامن عشر من رجب ٥٣٢هـ ،كما شارك بلدوين حاكم مرعش القوات المتحالفة في الهجوم على كثير من المدن الإسلامية مثل بزاعة [١٧٨] والأثارب [١٧٩] ،ومعرة النعمان [١٨٠] ،وكفر طاب [١٨١] ،وحصار مدينة شيزر [١٨٢] غير أن الصليبيين فشلوا في الاستيلاء علي شيزر لمناعتها وقوة تحصيناتها [١٨٣] فضلا عن قيام عماد الدين زنكى ببث روح الخلاف و الفرقة بين القوات البيزنطية والصليبية حتى نجحت سياسته في تفكك الحلف وانهياره [١٨٤] وتقاعس جوسلين الثاني حاكم الرها ونائبه بلدوين حاكم مرعش عن مشاركة الإمبراطور البيزنطي في الهجوم على شيزر، [١٨٥] مما كان له عظيم الأثر في ضعف الجبهة الصليبية وتقوية الجبهة الإسلامية التى سرعان ما قامت بتوجيه ضرباتها القوية للصليبيين،ونالت مرعش نصيبا من تلك الهجمات إذ تعرضت المدينة للنهب والتخريب حوالى عام ١١٤١م / ٥٣٦هـ عندما أغار عليها الملك محمد حاكم ملطية ودمر الكثير من قراها. [١٨٦] وتوالت الانتصارت العسكرية الإسلامية في شمال الشام حتى نجح عماد الدين زنكي في استرداد إمارة الرها الصليبية في جمادى الآخرة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م [١٨٧] فكانت ضربة قاصمة للكيان الصليبي في بلاد الشام زلزلت دعائم أولى إماراتهم التى كونوها بالشرق . [١٨٨]

---

177 البلاط:مدينة في شمال تقع بين مدينتى مرعش وأنطاكية،راجع:البغدادى: المصدر السابق،ج ١، ص ٢١٥.

178 بزاعة : بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان ، تقع بين منبج وحلب ، وفيها عيون جارية : راجع : ياقوت الحموى : المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٦٢ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٢.

179 الأثارب : قلعة في شمال الشام ، تقع بالقرب من مدينة حلب ، وعلى بعد ثلاثة فراسخ منها . راجع : البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤.

180 معرة النعمان : مدينة كبيرة تنسب الى نعمان بن بشير الصحابي ، تقع بين حلب وحماة راجع: البغدادى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٨٨.

181 كفر طاب : بلدة في شمال الشام ، تقع بين معرة النعمان وحلب . راجع : البعدادي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٧٠ .

182 ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٥٣.

183 ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٨ – ٦٢٩.

184 Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 245 ; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 159.

185 ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٥٨.

186 Morgan J. , Histoire du peuple Arménien , Paris , p. 174- 175.

187 William of Tyre, op. cit., Vol.II, p. 95; Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 263 .

188 Odo 0f Deui , De Progection Ludovice VII Orientem , New York, 1948, pp. 6- 9.=

وحاول الصليبيون استعادة مدينة الرها من جديد خاصة بعد وفاة عماد الدين زنكى عام ١١٤٦م / ٥٤١هـ [189] ظنا منهم أن الساحة قد خلت أمامهم لاسترداد كل ما فقدوه لذا سارع جوسلين الثاني ومعه نائبه بلدوين حاكم مرعش إلى الرها في أكتوبر ١١٤٦م / جمادى الآخرة ٥٤١ هـ ، [190] واتصلا بالأرمن داخل المدينة الذين سهلوا لهم الدخول إلى المدينة على حين غفلة من أهلها ومن حاميتها السلجوقية ،وما أن علم نورالدين بن عماد الدين زنكي - والذى شابه أباه في صلابته وحماسته للجهاد - بأنباء دخول الصليبيين الرها حتى أسرع بقواته إليها وحاصر الصليبيين بداخلها،فشعر الصليبيون بالذعر والهلع وحاولوا خرق الحصار والفرار من المدينة،وفي نهاية الأمر نجح جوسلين في ذلك بعد أن أصيب بسهم في رقبته،في حين لقى بلدوين حتفه قبل أن يصل إلى خارج أسوار المدينة. [191] وكان من نتائج تلك المحاولة الفاشلة التى قام بها جوسلين لاسترداد الرها سقوط عدد كبير من جنوده قتلى. فضلا عن مقتل نائبه ومساعده بلدوين حاكم مرعش، واهتزاز موقفه العسكري بالمنطقة ،الأمر الذي لم يزده إلا ضعفا وخذلانا. وتعرضت مرعش هى الأخرى للمزيد من الأخطار من كل صوب وحدب وأصبحت هدف لغارات القوى الإسلامية بالشام ودمرت حين اقتحمها قلج أرسلان الثاني في عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ واستباح أهلها. [192]

و تولى حكم مدينة مرعش بعد مقتل بلدوين أحد أقرباء جوسلين الثاني ويدعى رينولد Renauld والذي حرص على تقويض سلطة الأرمن والحد من نفوذهم والتوسع في أراضيهم [193] و ضم إليه حصن كركر، [194] الأمر الذي أثار حفيظة وغضب السلطان مسعود بن قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم(٥١٠ - ٥٥٠هـ / ١١١٦ - ١١٥٥م) و رد على تحركات رينولد التوسعية بالهجوم على مرعش والمناطق المحيطة بها عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م وأنزل بضواحيها الخراب والدمار ، [195] ثم زحف نحوها مرة ثانية في العام التالي مباشر ٥٤٤هـ / ١١٤٩م وأستولى عليها لفترة قصيرة ثم انسحب

=ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٥٣.

189 ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩.

188 William of Tyre, op. cit., Vol.II, p. 140 - 143 .

191 ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١١٤. ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠. ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١١. William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 156- 161; Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 270.

192 ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١١٤.

188 William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 53. ; Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 209.

194 كركر أو جرجر: حصن يقع في قليقية بالقرب من مدينتى ملطية و أمد بين سيمساط وحصن زياد غربي الفرات وقد أصابها الخراب . راجع : البغدادي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٥٨. أغناطيوس برصوم : اللؤلؤ المنثور ، ص ٥١٨.

190 Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 210.

منها وغادرها ، عندما ترامى إلى سمعه خبر قدوم الملك بلدوين الثالث (١١٤٤- ١١٦٢م / ٥٣٩- ٥٥٧هـ) لنجدة المدينة وتخليصها من قبضته .[١٩٦]
وهكذا قُدرَ لمدينة مرعش أن تدفع دائما ثمنا غاليا لصراعات القوى السياسية المتناحرة بمنطقة شمال الشام وأن يكون خراب أرضها واستباحت شعبها صورة جلية من صور هذا الصراع. فقد أخذت القوى الإسلامية من سلاجقة وأراتقة توجه ضرباتها لمرعش من آن لآخر تاركة وراءها الخراب والتدمير. ولم يحد رينولد من توسعاته بالمنطقة التى جلبت النكبات للمدينة من قبل سلاجقة الروم ،وإنما شارك الأمير ريموند حاكم أنطاكية في حربه ضد قوات نور الدين محمود التى بدأت في حصار قلعة أنب [١٩٧] وجرت معركة دارية بينهم في اليوم التاسع والعشرين من يونيو ١١٤٩م / صفر ٥٤٤هـ ،وانتهت بانتصار حاسم لقوات نور الدين ،وسقط الكثير من فرسان الصليبيين قتلى كان من بينهم ريموند حاكم انطاكية و رينولد حاكم مرعش.[١٩٨]
ولم تسلم مرعش من أطماع الأرتقة والدانشمنيين فيها،إذ قام قره أرسلان الأرتقي حاكم كيفا وخرتبرت بالاستيلاء على حصن كركر التابع لأعمال مرعش وذلك عام ١١٤٩م/ ٥٤٤هـ ،وتشير المصادر إلى مدى غبطة وفرح سكان الحصن بزوال حكم رينولد الذي داوم على اضطهاد اليعاقبة.[١٩٩] وتواصلت انتصارت نور الدين محمود بمنطقة شمال الشام حتى وقع جوسلين الثانى أسيرا في قبضته عام ١١٥٠م / ٥٤٥هـ وانهارت إمارة الرها اللاتينية.[٢٠٠] واقتسم نور الدين ووالد زوجته السلطان مسعود بن

---

[191] William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 200.

[197] أنب : حصن في شمال الشام من أعمال عزاز ، ويقع بالقرب من حلب راجع :
البغدادى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٠.

[198] ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠٥، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٤٤.
ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٨.
أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج ١، القاهرة ١٢٧٨- ١٢٨٨هـ ، ص ٥٨ ، ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٠ – ١٢١.

[194] Michael The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 210- 211.

[200] يشير ابن قاضي شهبة إلى وساطة الإمبراطور البيزنطى لدى نور الدين لفك أسر القادة الصليبيين فيقول في حوادث سنة ٥٥٤هـ : " فيها هادن نور الدين ملك الروم القادم من القسطنطينية بقصد المعاقل الإسلامية بعد تكرار المراسلات، والاقتراحات في التقريرات وأجيب ملك الروم إلى ما التمسه من إطلاق مقدمي الفرنج المقيمين في حبس نور وأطلقهم، فقابل الروم هذا الفعل بما يضاهيه من الإتحاف بأثواب الديباج (وخيول حسنة)، ورده إلى بلاده، ولم يؤذ أحد من المسلمين، فاطمأنت القلوب بعد انزعاجها وقلقها."
ابن قاضي شهبة : الكواكب الثمين في سيرة نور الدين المعروف ب (الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد ، ط. دار الكتاب الجديد ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٣١٧ .

قلج أرسلان بقايا تلك الإمارة . وأصبحت مدينة مرعش منذ ذلك الحين تابعة لسلاجقة الروم في قونية.[٢٠١]

وتشير المصادر إلى دور قوى سياسية أخرى أثرت في مجريات الأحداث السياسية ببلاد الشام تمثلت في الدانشمنديين الذين نجحوا في تأسيس مملكة لهم بالشام، وقد تعرض قلج أرسلان بن مسعود (٥٥١ – ٥٨٤هـ / ١١٥٦- ١١٨٨م) بالاعتداء على ممتلكاتهم واستولى على سيواس[٢٠٢] مما دعى الأمر إلى قيام أمير الدانشمند ذي النون في ملطية بالاستنجاد بنور الدين محمود الذي لبى طلبه،وأرسل إلى السلطان قلج أرسلان يطالبه برد ما أخذه من أملاك الدانشمند .ولما رفض السلطان السلجوقي طلبه ساءت العلاقة بينه وبين نور الدين محمود الذي زحف بقواته نحو ممتلكاته وفتح بهسنا ومرعش وانتزعهما عنوة وما بينهما من قلاع وحصون وذلك في أوائل شهر ذي القعدة عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ،[٢٠٣] كما سير فرقة من جيشه إلى سيواس للاستيلاء عليها فملكوها .[٢٠٤] عقابا لقلج أرسلان بن مسعود على سياسته السيئة،كما أعاد كيسوم

---

201 و يقدم المؤرخ ابن العبري تفصيلا لبعض الأحداث التى وقعت بمرعش عام ١١٥٦م / ٥٥١هـ فيقول: " أنه في هذه السنة توجه حاكم مرعش لمهاجمة إحدى القري الأرمينية ، فإنتقم الأرمن بقيادة ستيفان – أخو الأمير ثوروس الأرميني – لأنفسهم بان قدموا بالليل إلى مرعش وخبأوا أنفسهم داخل بيوت الأرمن ، وفي الصباح عندما فتحت أبواب القلعة اندفعوا خارجين وسيطروا على البوابة والسور الخارجى وبدأوا في القبض على من بداخلها . ثم ملأهم الرعب فجأة عندما وصلتهم أخبار أن الأمير والأتراك في الطريق إليهم وخافوا أن يضعوا بين السورين ويضطروا لمحاربة من في الداخل والخارج معا. فنهبوا المدينة و أشعلوا النيران في المنازل وفي كل ما لم يستطيعوا حمله .
Bar Herbraeus , , op. cit., p.283.

للمقارنة بين المصادر راجع:
ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١، ص ٣٩١؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٨.
ولم تنعم مرعش بالأمن والاستقرار وهى في كنف سلاجقة الروم بل تعرضت لمناوشاة الصليبيين من حينا لآخر ومنها ما قام به رينولد دي شاتيون (١١٥٣- ١١٦٠م / ٥٤٨- ٥٥٥هـ) حاكم أنطاكية طبقا لما أورده وليم الصورى بمباغتة المدينة والاستيلاء على قطعان الماشية والأغنام وتهديد مراعي الأبل بمرعش.
William of Tyre, op. cit., Vol. II, p.153.

202 سيواس : بالكسر ، بلد من الروم وهو مشهور ، وتعرف باليونانية باسم Σεβάστεια *سيباستيا*
راجع :البغدادي : مراصد الأطلاع ، ج ٢، ص ٧٦٨.

203 ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٣٣.

204 ابن قاضي شهبة : المصدر السابق، ص ٣١٧ .
وتشير المصادر إلى أن السلطان السلجوقي عندما علم بزحف نور الدين محمود إلى الأناضول خاف منه فعاد من طرفها الذي يلي الشام إلى وسطها ، وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح ، فتوقف نور الدين عن سيره على أمل أن يحسم النزاع دون حرب . ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٩٣.

إلى الدانشمند. [٢٠٥] وأصبحت مرعش ضمن مدن الجبهة الإسلامية التى وحدها نور الدين،وأكدها بعده صلاح الدين وأبناء البيت الأيوبي من بعدهما.وكانت تلك الجبهة هى الركيزة التى انطلقت منها الجيوش الإسلامية لمجابهة الصليبيين والتى أثمرت انتصارات ساحقة حققها صلاح الدين على الصليبيين ولاسيما في معركة حطين عام ٥٨٣هـ / ١١٧٧م واسترداده بيت المقدس ،أما مرعش فبقيت في حوزة أبناء البيت الأيوبي طيلة حكمهم بالشام .

وهكذا،ظلت مدينة مرعش لأهميتها الاستراتيجية تنتقل بين أيدي الشعوب الإسلامية والصليبيين وكذلك الأرمن حتى استقرت أخيرا في أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وبالتحديد عام ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م في أيدي سلطنة سلاجقة الروم عندما اتخذها السلطان عز الدين كيكاوس(١٢١٠ -١٢٩١م / ٦٠٦- ٦١٦هـ) كقاعدة لشن الهجمات على الملك الأرميني ليو الثانى ،[٢٠٦] وأضحت المدينة آنذاك هدفا للهجمات العسكرية وساحة للصراع بين السلاجقة و الأرمن طيلة تلك الفترة الزمنية حتى تعرضت بلاد الشام بأكملها للخطر المغولي الذي زحف بجيوشه صوب منطقة شمال الشام محدثا بها الخراب والتدمر . فلم يجد معظم أمراء المسلمين النجاة من هذا الخطر سوى ابرام المعاهدات المخزية مع المغول،[٢٠٧] فذهب سلطان السلاجقة كيكاوس الثانى وقلج أرسلان الرابع لهولاكو يقدمان له الولاء والطاعة ، وبتلك الطريقة ضمن السلاجقة عدم تعرض ممتلكاتهم للغزو .[٢٠٨]

و رغم أن مرعش كانت بمنأى عن الدمار المغولى إلا أنها لم تتقاعس عن مقاومة القوات المغولية الزاحفة إلى شمال الشام ،إذ أشار ابن العبري في مخطوطة تاريخ الأزمنة إلى قيام المغول في جيش قوامه سبعون ألفا بقيادة أباتاى نوين الكبير بالهجوم على قلعة البيرة للاستيلاء عليها في شهر اكتوبر عام ١٢٧٦م ولكنهم فشلوا بسبب البرد القارص الذي تعرضوا له ،وخلال عودتهم تصدى لهم التركمان وتابعهم حوالي ألف فارس من القوات المصرية جاءوا من ناحية مرعش متجهين إلى قليقية [٢٠٩] ولما شعر الملك الأرميني ليو بالخطر جمع قوات من الأرمن بقيادة عمه الكندسطبل بارون

---

205 ابن الأثير :المصدر السابق،ج ١١، ص ٣٩١؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١، ص ٢٢٣. للمزيد عن أحوال بلاد الشام راجع :
جوانفيل : مذكرات جوانفيل " القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام " ، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف بمصر ، ط. الأولى ١٩٦٨م .

206 ابن الأثير :المصدر السابق،ج ١١ ،ص ٣٩١؛ ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١، ص ٢٢٣.

207 ابن العبري : مخطوطة تاريخ الأزمنة ، ترجمة شادية توفيق حافظ ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ط. الأولى ٢٠٠٧م ، ص ١٣٥.

208 ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٣.

209 ابن العبري : مخطوطة تاريخ الأزمنة ، ص ١٦٥.

سنباط [٢١٠] وذهب بعض النبلاء لمقابلة الأتراك على جانب مرعش يوم الجمعة في اليوم الثالث من الصوم الأربعيني المقدس حسب تعبير ابن العبري الذي يستطرد قائلا " وفي هذا اليوم قتل بارون سنباط وثلاث عشرة آخرون من المشاهير وثلاثمائة فارس كما سقط كثير من الأتراك وعاد الباقون بعد ان فشلوا في دخول المدينة " .[٢١١]

وظلت مدينة مرعش تحت حكم سلاجقة الروم حتى نجح السلطان المملوكي الأشرف خليل (٦٨٩- ٦٩٢هـ / ١٢٩٠- ١٢٩٣م) في عام ١٢٩٣م / ٦٩٢هـ السيطرة عليها و ضمها للممتلكات المملوكية ببلاد الشام .[٢١٢] لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخها في ظل التبعية المملوكية.ومن خلال تتبعنا للدور التاريخي لمدينة مرعش منذ الفتح الإسلامي لها وحتى نهاية عصر الحروب الصليبية بالشرق توصلنا إلى عدة نقاط ونتائج أبرزها ما يلي:

- أن مدينة مرعش كانت بمثابة مركزا دفاعيا وثغرا هاما لحدود الدولة الإسلامية وهدفا للهجمات البيزنطية خلال العصري الأموي والعباسي ، لذا نالت رعاية واهتمام الخلفاء بصفة دائمة . وساندة الكثير من المدن خلال الهجمات البيزنطية المتكررة على الثغور الإسلامية.

- أن المدينة لم تكن بمنأى عن المطامع فيها بل استغلها البيزنطيين ومن بعدهم الصليبيين عندما وقعت تحت أيديهم كنقطة انطلاق للإغارة على المدن الإسلامية في شمال الشام واتخذوها قاعدة عسكرية لجيوشهم. وبالتالي شاركت مرعش في غالبية الحروب والأحداث السياسية التى مرت بها منطقة شمال الشام ، و تقاسم حكامها مع الصليبيين معظم هجماتهم وغاراتهم على المسلمين آنذاك.

- كان سكان مرعش يشكلون خليط من أرمن وروم وعرب وأتراك .. وكان العنصر الغالب في سكانها من الأرمن الذين كانوا كارهين للحكم البيزنطي ورافضين الحكم السلجوقي .

- أن المدينة كانت مركزا لدولة أرمينية ناشئة في شمال الشام والتي استطاعت الهيمنة على منطقة قيليقية وضمت العديد من المدن لقبضتها،وبالتالي تحكمت في منطقة شمال الشام نظرا لاهميتها العسكرية والاستراتيجية .

- وأخيرا لعبت مرعش دورا هاما في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين عندما دخلت ضمن مدن الجبهة الإسلامية الموحدة بقيادة نور الدين محمود وحتى نهاية حكم البيت الأيوبي بالشام ،كما شاركت في التصدي للزحف المغولى علي شمال الشام

---

[210] الكندسطبل : Comes stabuli , connectable كلمة كانت تعنى أولا وظيفة أمير الأخور ، ثم قصدوا بها بعد ذلك أمير الجيوش .ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٦.

[211] ابن العبري : مخطوطة تاريخ الأزمنة ، ص ١٦٦.

[212] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣، ط . بيروت ٢٠٠٢م ، ص ٣٣٢.

وهكذا كان البحث محاولة متواضعة من جانبنا واجتهادا استنادا إلى المصادر العربية والبيزنطية السريانية والصليبية لإظهار الدور البارز والهام لمدينة أو ثغر مرعش الذي كان يمثل الورقة الرابحة في أيدي العديد من القوى الإسلامية والبيزنطية والصليبية في ذلك التناحر المرير بينهم للسيطرة على أقاليم أو مناطق الثغور الفراتية والشامية .

المختصرات التى وردت بالبحث Observations

B.	Byzantium
C. E. H.	Cambridge Economic History
C. M. H.	Cambridge Medieval History
JESHO	Journal of the Economic and Social History of the orient
R. H. C.,Occ	Recueil des Historiens des Croisades Occidentaux
P. G.	Patrologiae Graecae

المصادر البيزنطية واللاتينية والسريانية

- أنا كومنينا : ألكسياد ، ترجمة حسن حبشي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط. الأولى ٢٠٠٤م .
- بطرس توديبود : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ، ترجمة د. حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠١م .
- جان سيردي جوانفيل : (مذكرات جوانفيل) القديس لويس ، ترجمة حسن حبشي، ط. الأولى دار المعارف ١٩٦٨م
- ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، نقله إلى الإنجليزية جون هيوج هيل و لوريتال هيل ، وترجمه إلى العربية د. حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية ، ط. ٢٠٠٢م .
- قسطنطين بورفيروجنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية ١٩٨٠م
- المؤلف المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ،ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٨م
- وليم الصوري : ذيل وليم الصوري ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢م .

- Albert d' Aix , Historia Hierosolymitana, in R. H. C., Occ., vol. IV , paris 1866 .

- Bar Herbraeus , The Chronograph of Gregory Abul Faraj , Vol. I , English trans. , London 1932.

- Cedrenus : Compendium Historiarum ,II,

- Fulcher of Chartres , A History of the expedition of Jerusalem (1095 – 1127) , Tennessee , U.S.A , 1969.

- Gregory the Priest ,Continuation of Matthew of Edessa □ Chronicle , in R. H. c. Doc. Arm.,Vols

- Leo Grammaticus , Chronographia, Patrologiae Graecea ,Tomus 108, Belgium .

- Michael The Syrien, Chronique de Michael le Syrien Patriarche Jacobite d' Antioch
(1166 – 1199) éditee en Français Par J. B. Chabot, 1905 , 3vols.

- Mattieu d' Edesse, Chronique, in R. H. C.,Occ, Vol. I , paris 1866 - Odo 0f Deui , De Progection Ludovice VII Orientem , New York, 1948

- Radulph of Caen , Gesta Tancridi Sicilise Regis in Expeditione Hierosolymitana , in
R. H. C. Occ, vol. , paris 1866.

- Theophanes Continuatus , Historia , Patrologiae Graecea ,Tomus 109, Belgium .

- William of Tyre , A History of deeds done beyond the sea , Trans by Emily Babcock , New York 1943, 2 Vols,

المصادر الإسلامية

- الاصطخري : مسالك الممالك ،تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق غربال ، ط. ليدن – بريل ١٩٢٧م .
- ابن شداد :الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة،ج١ق١،دمشق ١٩٥٣،ص ١٢٩.
- ابن العبري :تاريخ مختصر الدول،دار الكتب العلمية،بيروت ط. الأولى١٩٩٧م
- ابن العبري : مخطوطة تاريخ الأزمنة ،ترجمة شادية توفيق حافظ ، مراجعة السباعي محمد السباعي ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ط. الأولى ٢٠٠٧م.
- ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،تحقيق وتعليق على محمد البجاوي،دار الجيل ،بيروت ،ط. الأولى ١٤١٢ هـ ، أجزاء.
- ابن قاضي شهبة : الكواكب الثمين في سيرة نور الدين المعروف ب (الكواكب الدرية في السيرة النورية،تحقيق محمود زايد ،ط. دار الكتاب الجديد ،القاهرة ١٩٧١م.
- أبو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،ج ١،القاهرة ١٢٧٨-١٢٨٨هـ.
- ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، دار القلم ١٩٥٣م ، ج ١
- خليفة بن خياط ، تاريخه ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد ١٩٦٧م.
- القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بغداد ١٢٨٣هـ .
- البكري : معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا، ط. بيروت ، ب ت .
- الحميري :الروض المعطار في خير الأقطار،تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٥.
- ابن جبير :رحلة بن جبير، ط. ٢، بيروت ١٩٨٦م .
- ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط. بيروت ٢٠٠١م.
- سبط بن الجوزي : مرأة الزمان في تاريخ الأعيان ، دار الكتب المصرية .
- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ط. حيدر أباد ١٣٥٧هـ ، ج ٩
- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣، ط . بيروت ٢٠٠٢م
- ياقوت الحموي :معجم البلدان ،تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٢ م .
- ابن الاثير:الكامل في التاريخ ،حققه عمر عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط. الثانية ١٩٩٩م .
- قدامه بن جعفر :الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر العراق ١٩٨١م .
- البلاذري : فتوح البلدان ،نشره صلاح الدين المنجد،مكتبة النهضة المصرية،ب ت .

- ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق أبو اليمن البتروني ، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ١٩٠٩ .
ابن عذاري : البيان المغرب ،
المراكشي : المعجب في أخبار المغرب .
عريب بن سعد القرطبي : صلة تاريخ الطبري ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. الثالثة دار المعارف ١٩٩٠م.
المسعودي : التنبيه والإشراف ،ط. ليدن ١٨٩٣م
ابن ظافر الأزدي : أخبار الدولة الحمدانية ،حققه تميمة الرواف ، ط. ١٩٨٥م.
ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر ،تحقيق احمد رفعت البدراوي ، بيروت ١٩٧٠، ج ١.
[1] ابن العديم :زبدة الحلب في تاريخ حلب ،تحقيق سامي الدهان ، ط. دمشق ١٩٥١م ، مسكويه،تجارب الأمم ،ط. التمدن الصناعية مصر ١٩١٥م ،ج ٢ .
ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة ،ج ٣ ، ص ٢٩٤ ؛ المقريزي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،ط. بولاق ١٣٢٦ .
الطبري : تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،طبعة دار المعارف.
أبو الطيب المتنبى : ديوان المتنبى ،شرح اليازجي ، ط. بيروت ١٨٨٧م .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢م.
يحيى بن سعيد الأنطاكي :التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ،نشره كراتشكوفسكي وفازيليف ،القاهرة ب ت.
الفردوسي : الشاهنامة ،ترجمة الفتح بن على البنداري ،تحقيق عبد الوهاب عزام ، ط. الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٩٣م .
خواندمير :حبيب السير في معرفة أخبار البشر ، ط. بومباي ١٨٥٨م .
نظام الملك الطوسي : سياسة نامة ،ترجمة يوسف بكار ،قطر ١٩٨٧م .
أبو منصور الثعالبي : تاريخ غرر الفرس المعروف ب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طهران ١٩٣٠م.
شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله،التعريف بالمصطلح الشريف،مصر،١٩٥٢.
أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٧٥، ج ١، ق ٢.
أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، بيروت، ١٩٨٧، ج ٨، ص. ٣٠.
القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة ١٩١٣م ، ج ٤

المراجع الأجنبية

Bury J.B., A History of the Later Roman Empire, Vol II, London, 1889.

Bréhiér L., Vie et mort de Byzance , paris .

Baynes N., Byzantine Studies and other Essays , London 1960.

Chapot , La frontière de l'Euphrate de Pompée al conquêt Arabe.

Canard M., Histoire de dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, 1951.

Canard M., Byzantium and the Muslim world , in C.M.H., vol. IV, Cambridge 1966.

Cohen C. , La Campagne de Mantzikert d' après les sources musulmanes, Byzantion , IX, Brussels, History of the Greece, Oxford 1877.

David Marshall Lang *Armenia Cradle of Civilization,* London 1970.

Ehrenkreutz A. S., Byzantine Tetarteia and Islamic Dinars, in the Journal of Economic and Social History of the Orient (JESHO), VII 1964, pp. 183 – 190.

Finlay G. History of the Greece , 7 vols , Oxford 1877.

Foord E. The Byzantine Empire, London 1911.

Grousset Histoire de L' Armenié des Origines , Paris 1947.

Heyd W. , Histoire du Commerce du Levant au Moyen – Age , Leipzig 1885.

Miles G. C., Byzantine Miliaresien and Arab Dirham Some

Morgan J., notes on their Relationship , in Museum Notes, 1960.
Histoire du peuple Arménien , Paris
Runciman S., A history of the crusades , vol. I , Cambridge 1975.
Oman Ch., European History, London 1893.
Ostrogorsky G., History of the Byzantine State, ,Trans. By J. Hussy , Oxford 1968.
Toumanof C., Armenia and Georgia , in C. M. H., vol. IV, Cambridge 1966.
Vasilive A. A., Histoire de l' Empire byzantine, Vol. I., Madison 1961.
Werveke V., The Rise of the Towns in C. E. H., vol. III, Cambridge 1963.
Zerghelis C., Le Feu Grégeois et Les Armes a feu des Byzantine , B. 7 , 1932.

The Encyclopedia of Islam , V. III (1936).

المراجع العربية والمعربة

أرشيبالد لويس :القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠.
علية عبد السميع الجنزوري : الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين ،الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٣م .
سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .
ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، بيروت، ١٩٦٧
صابر محمد دياب : المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ١٩٨٤م .
فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٦م.
محمد مرسي الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين ، ط. ١٩٩٤م.
لي سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،ط. الثانية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م.
وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.
ل. استارجيان: تاريخ الأمة الأرمينية، الموصل، ١٩٥١.
مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، بيروت، ١٩٨٢.
سعيد عبد الفتاح عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٧.

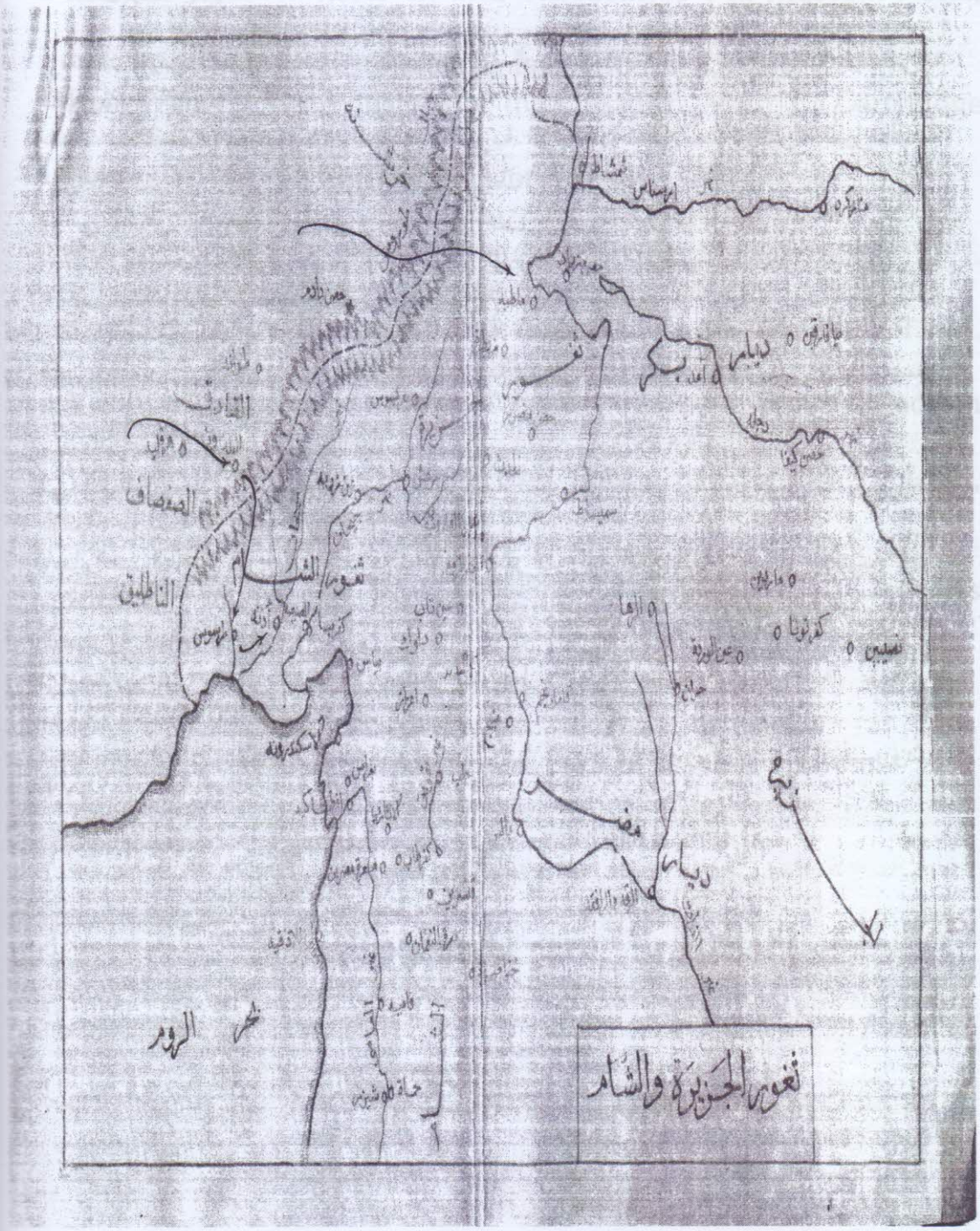
ثغور الجزيرة والشام
ديار بكر
الصفصاف
الشام
الناطليق
بحر الروم

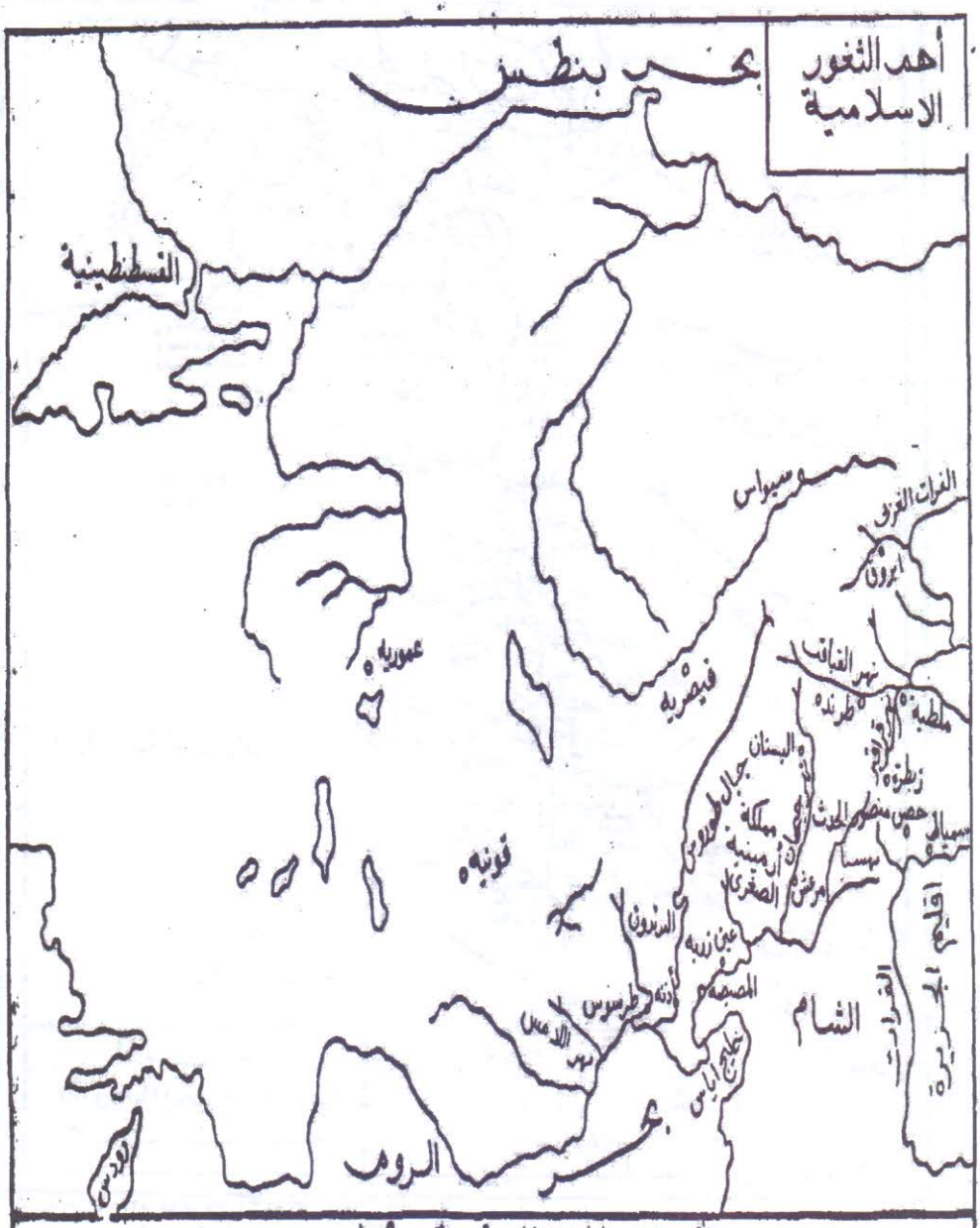

عن : لوسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص١٥٩

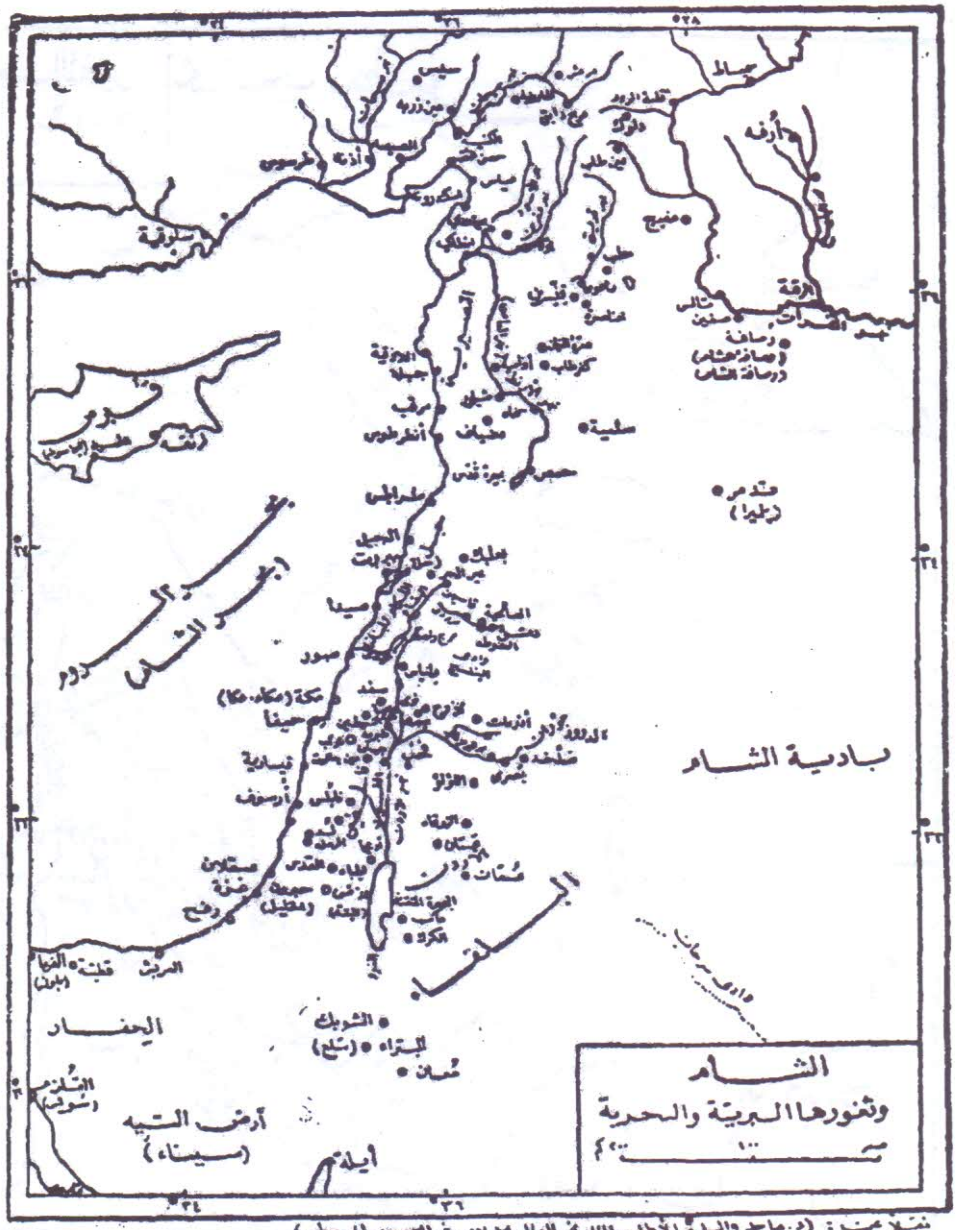

نقلاً عن: (د. ماجد والياس الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى)

(و الدكتور فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية).